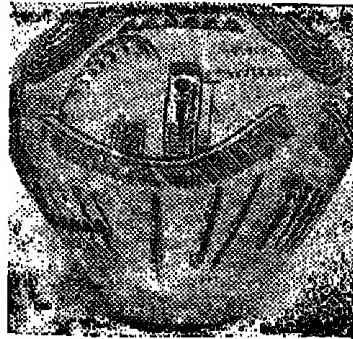


السَّيْرُ قُلُوبًا لَدُنْهُ

قَبْلَ عَصُورِهِ التَّارِيخِيَّةِ



دكتور محمد أبو الحسن عصفور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

قمت بتدريس « العصور قبل التاريخية » - سواء فيما يتعلق بمصر أو غيرها - منذ سنة ١٩٤٨ ، ولم أتوقف عن ذلك إلا فترة تقل عن خمسة أعوام ، وقد لمست ما يعانيه الطلاب من صعوبة في تفهم كل ما يمت إلى هذه العصور بصفة ، ورأيت أن من واجبي أن أحاول تبسيط دراستها في إقليم الشرق الأدنى التي تتناولها بصفة عامة في هذا الكتاب ولذا تجاوزت عن كثير من التفاصيل المعقدة التي لا يستسيغها الطالب في بدء حياته الجامعية .

ودراسة هذه العصور وإن كانت قد رسخت في أوروبا إلا أنها ما زالت في حاجة إلى الكثير من الجهود في إقليم الشرق الأدنى بصفة عامة وفي بعض أقطاره بصفة خاصة ولأنكاد نجد في المكتبة العربية كتابا واحدا يقتصر على دراستها في إقليم الشرق الأدنى بأكمله وقد أشفقت - رغم شدة حاجة الطالب والمكتبة العربية إلى مثل هذا العمل - من أن أكون البادئ في سد هذا الفراغ ولكن ما وجدته من شدة الحاجة إليه شجعتني على القيام بهذا العمل ، وخاصة لما تلقاه دراسة هذه العصور من عناية واهتمام في كافة أرجاء العالم إذ لا تكاد تخلو دراسة جامعية منها على

- ب -

الاطلاق ، لأن من المسلم به أن لكل شيء بداية وأن الخطوات الأولى التي خطاها الإنسان نحو الحضارة والأسس التي بنيت عليها كل مظاهر الحضارة الإنسانية إنما بدأت في تلك العصور .

ولا يسعى في هذا المقام إلا أن أذكر بالشكر والتقدير كل من عاونني على إخراجه ، وأذكر بصفة خاصة السيد / كاظم الجنابي من العراق الشقيق - لما قدمه إلى من معونة في مراجعة الجزء المتعلق بالعراق وتحقيق أسمائه على حسب نطقها المحلي .

ولا أستطيع أن أدعي بأن هذا الجهد المتواضع الذي أقدمه الآن هو كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع بل ولا أعتبره أساسا كافيا لدراسته وإنما هو مجرد بداية تهدف إلى تحقيق غرض دراسي بحث يستطيع الطالب والقارئ العادي أن يفيد منها ولا يغنيه ذلك عن الدراسات التفصيلية لمن شاء التعمق في بحث بعض جوانب هذا الموضوع - وأرجو أن أكون قد وفقت فيما هدفت إليه .

وأسأله تعالى أن يوفقنا جميعا إلى الخير والسداد .

دكتور محمد أبوالمحسن عصفور

ديسمبر ١٩٦٢

لله عزة

الى ذكرى من علماني اول دروس الحياة ،
الى والديّ، اهدي هذا الجهد المتواضع

قائمة الأشكال

الصفحة	موضوع الشكل	رسم الشكل
١٢	فأس يدوية شيلية	١
١٤	فأس يدوية أشولية	٢
١٥	آلة حجرية موسستيرية	٣
١٩	مدرجات النيل	٤
٢٢	آلات شيلية من مصر	٥
٢٣	آلات أشولية من مصر	٦
٢٤	أسلحة موسستيرية أفريقية	٧
٢٦	أدوات سبيلية (موسستيرية مصرية)	٨
٣٣	أدوات وأواني فخارية من تاسا	٩
٣٨	عصى رماية وأدوات وأواني من البدارى	١٠
٤٠	أواني من العمرى	١١
٤١	مسكن من مرمدة	١٢
٤٣	أدوات وأواني من مرمدة	١٣
٤٦	أدوات وأواني من الفيوم	١٤
٥٢	أدوات وأواني من حضارة نقادة (١)	١٥
٥٥	أدوات وأواني من حضارة نقادة (٢)	١٦
٥٨	أواني من حلوان (ب)	١٧

رقم الشكل	موضوع الشكل	الصفحة
١٨	أدوات وأواني من المعادى	٦٠
١٩	أدوات وأواني من جرمو	٧٧
٢٠	أواني من حسونه	٧٨
٢١	إناء من حضارة حلف	٨٠
٢٢	أواني فخارية من حضارة العبيد	٨٣
٢٣	تخطيطية الجدران بمخاريط فخارية	٨٤
٢٤	إناء من سيالك ٣	٩٤
٢٥	أواني وأدوات من مرسين	١١٣
٢٦	أواني وأدوات من ألاجا	١٢٣

الخـطـر

١ ٦٨	المواقع الأثرية في مصر
٦٨ ب	المواقع الأثرية في السودان الشمالى
٧٤	المواقع الأثرية الهامة في الشرق الأدنى

محتوى الكتاب

صفحة	
١ - ب	مقدمة
٥ - و	قائمة الأشكال
١٠ - ١٦	نشأة الحضارة وتطورها
١٧ - ١٩	أهم المؤثرات في حضارة الشرق الأدنى القديم
٢٠ - ٦٨	ما قبل التاريخ في مصر العصر الحجري القديم
	العصر الحجري القديم الأسفل ، العصر الحجري
٢١ - ٢٧	القديم الأوسط ، العصر الحجري القديم الأعلى
٢٧ - ٢٨	العصر الحجري المتوسط
٢٨ - ٤٧	العصر الحجري الحديث
٤٧ - ٦٤	عصر ما قبل الأسرات
٦٤ - ٦٨	المميزات العامة للحضارة المصرية قبل قيام الأسرات
٦٩ - ٧٣	النوبة وشمال السودان
٦٩ - ٧٠	العصر الحجري القديم (الأسفل)
٧٠	المتوسط
٧١ - ٧٣	الحديث
٧٥ - ٨٦	العراق
٧٦	العصر الحجري القديم
٧٦ - ٧٩	الحديث

٨٦ - ٧٩	عصر بداية استخدام المعادن
١٠٠ - ٨٧	إيران
٩٠ - ٨٩	العصر الحجري القديم
١٠٠ - ٩٠	المتوسط
٩٢ - ٩٠	الحديث
٩٦ - ٩٢	عصر بداية استخدام المعادن
١٠٠ - ٩٦	فترة التمهيد للعصر التاريخي في عيلام
١٠٧ - ١٠١	الإقليم السوري
١٠٣ - ١٠٢	العصر الحجري القديم
	العصر الحجري القديم الأسفل ، العصر الحجري
	القديم الأوسط ، العصر الحجري القديم الأعلى
١٠٥ - ١٠٣	العصر الحجري المتوسط
١٠٥	الحديث
١٠٦ - ١٠٥	عصر بداية استخدام المعادن
١٠٧ - ١٠٦	عصر ما قبل الأسرات
١٢٦ - ١٠٧	آسيا الصغرى
١١٢ - ١١٠	العصر الحجري القديم
١١٥ - ١١٢	الحديث
١١٨ - ١١٥	عصر بداية استخدام المعادن
١٢٠ - ١١٨	أقدم مراكز الاستقرار في الحضبة
١٢٦ - ١٢٠	البرونز القديم
١٢٩ - ١٢٧	شبه جزيرة العرب
١٣٢	فهرس أبجدى

تمهيد

يقدر عمر الأرض — منذ أن أصبحت كوكبا منفصلا يسير حول الشمس — بنحو ألفي مليون سنة ، وقد أصطلح الجيولوجيون على تقسيمه إلى أربعة دهور طويلة قسموها بدورها إلى عصور ثانوية - ولم تبدأ الحياة على سطح الأرض منذ لحظة نشأتها بل كان ظهور أول الكائنات فيها منذ نحو ١٦٠٠ مليون سنة ، وكانت هذه الكائنات بدائية بسيطة التكوين ثم أخذت تتطور ويتعقد تكوينها إلى أن نشأت الثدييات في زمن يرجع إلى ما بين ٤٠ مليون سنة و ٨٠ مليون سنة .

ومع أن القشرة الأرضية أخذت تتجه في مناخها نحو البرودة التدريجية بوجه عام إلا أنها تعرضت لذبذبات طويلة الأجل تناوبت فيها فترات اشتدت برودتها حتى تقدم غطاء الجليد نحو العروض المعتدلة الحالية وفترات مال المناخ فيها إلى الدفء نسبيا فتراجع الجليد نحو العروض الباردة (١) - وقد ظهرت الكائنات البشرية القريبة الشبه

(١) عرفت آخر أدوار تقدم الجليد التي حدثت في الدهر الجيولوجي الرابع باسم العصر الجليدي وقد أطلق على كل منها اسم أحد وديان جبال الأب حيث وجدت آثار الركمان الجليدية المثلثة لهذه العصور في تلك الوديان وهذه العصور هي على التوالي : —

جنتز Guntz ، مندل Mindel ، ريس Riss ، فرم Wurm .

بالقردة العليا ^(١) في إحدى هذه الفترات الدفينة التي تخللت أدوار تقدم الجليد . ولكن العلماء اختلفوا في تحديد تلك الفترة لأن آثار هذه الكائنات وبقاياها كلها وجماجها التي وجدت في بقاع مختلفة من العالم عثر عليها في طبقات يتراوح عمرها ما بين ٥٠ ألف عام و ٦٠ ألف عام - أما اسلاف الانسان الحديث ^(٢) فقد بدأ ظهورهم منذ زمن يرجع إلى ما بين ٣٠ ألف سنة و ٥٠ ألف سنة ، وقد افترضت كل تلك الأجناس قبل ظهور الانسان الحديث ولا يوجد ما يؤكد صلتها به بصفة قاطعة .

ولاشك في أن تاريخ البشر يبدأ منذ اللحظة التي بدأ فيها ظهورهم على سطح الأرض ، ومن البديهي أن الانسان لم يتدرج نحو الرقي بسرعة واحدة في مختلف أنحاء العالم بل ولم يمر - في بعض المناطق - بكل المراحل الحضارية المختلفة أى أنه كان لا ينقل في

(١) من أهم هذه السلالات :-

أولا :- أقدم السلالات التي عثر على بقايا عظمية لها وهي ميدة الشبه عن الانسان الحديث :-

أ - انسان جاوة *Pithecanthropus erectus*

ب - انسان بكين *Sinanthropus Pekinensis*

ج - انسان ، تيدون *Pitldown Man* وقد أصبح هـ - كوكا في هذا الجنس

ثانيا :- سلالات أقرب شبيها بالانسان الحديث من المجموعة السابقة ولكنها أيضا منحرفة عنه

أ - انسان نياندرتال *Nesnderthal*

ب - انسان هـ - دالرج *Heidellerg*

ج - اند - ان روديسيا - *Rhodesia*

(٢) وجدت بقايا عظمية في أما كن عدة وقد استدل منها على أن الانسان العاقل -

جهة ما من مرحلة حضارية إلى المرحلة التالية لها بنفس الترتيب الذى اتبعه فى الجهات الأخرى ، كذلك لم تكن الفترة التى قضاها فى إحدى المراحل الحضارية مساوية فى الزمن للفترة التى قضاها فى نفس المرحلة من جهة أخرى .

ومع أن تاريخ الإنسان يبدأ بظهوره إلى الوجود فإن معظم الباحثين درجوا على تسمية الزمن الذى سبق انتظامه فى وحدات سياسية أو توصل فيه إلى الكتابة باسم « ما قبل التاريخ » ، أما الزمن الذى تلى معرفته للكتابة فهو عصره التاريخى . ومن الواضح أن هذا التقسيم يتنافى مع الواقع والأفضل - إذا ما أردنا أن نعتبر معرفة الكتابة حدثا خطيرا ومرحلة حاسمة فى حياة الإنسان - أن نطلق على العصر الأول اسم « العصر السابق لمعرفة الكتابة » ونطلق على الثانى اسم « عصر الوثائق المكتوبة أو عصر التدوين » ، ومع هذا فإن التعبيرين « ما قبل التاريخ » و « العصر التاريخى » أصبحا من الشهرة والأهمية بحيث لا يمكن إهمالهما أو الاستغناء عن استعمالهما كلية .

ومن الطبيعى - وقد مر الإنسان بمراحل حضارية مختلفة - أن يقسم تاريخه على أساس أهم العوامل التى بنى بها حضارته وأثرت فيها أو على أساس اختلاف المظاهر العامة لتلك الحضارات ولذا اتجه فريق

= « أوالمحدث » أخذ فى الظهور وقد عرفت السلالات المثلة لها بأسماء الاماكن التى وجدت فيها هذه العظام ومنها : - جالى هل Galley Hill فى الجلتراء شتاينهايم Steinheim فى ألمانيا وجبل الكرمل فى فلسطين وكرومانيون Cro-Magnon فى فرنسا وكومب كابل Combe-Capelle وبرن Brunn وجريمالدى فى ايطاليا .

من العلماء إلى تقسيم تاريخ العالم على حسب المادة التي صنع منها الإنسان أدواته إلى مرحلتين أطلق على الأولى اسم « عصر استعمال الحجر » وعلى الثانية اسم « عصر استعمال المعادن » ومازلنا نعيش في هذه المرحلة الأخيرة إلى اليوم ، ومن العلماء من حاول تقسيم تاريخ البشر على أساس اقتصادي إلى « مرحلة جمع القوت » و « مرحلة إنتاج الطعام » ومنهم من حاول إيجاد أسس أخرى للتقسيم لاداعي لأن نتعرض لها بالتفصيل ، وكل ما يهمنا هو أن كل تلك المحاولات إنما تهدف إلى تيسير دراسة تاريخ الإنسان والأدوار الحضارية التي مر بها وينبغي أن لا يغيب عن الذهن أنه لا توجد حدود زمنية فاصلة بين الأقسام المختلفة التي في تقسيمات الباحثين كما أن هذه التقسيمات جميعها لا تخلو من نقائص ولكنها على أي حال تتيح لنا تتبع المراحل التي مر بها الإنسان في تاريخه الطويل ، ومهما اختلفت الأسس التي بنيت عليها تلك التقسيمات فإن من الممكن التوفيق بينها فمثلا يمكن مطابقة « مرحلة جمع الطعام » للقسم الأول من عصر استعمال الحجر أي « العصر الحجري القديم » و « مرحلة إنتاج الطعام » تتفق وكل من القسم الأخير من عصر استعمال الحجر وعصر « استعمال المعادن » أي أنها تبدأ بأوائل « العصر الحجري الحديث » وتستمر حتى وقتنا الحالي ، وإذا كان في مقدورنا الآن أن نؤرخ الأحداث حسب وقت حدوثها بالنسبة لنقطة ثابتة اصطلاح العالم على جعلها أساسا للتقويم - كميلاد المسيح أو هجرة الرسول عليه السلام - فإن الأمر لم يكن كذلك دائما فقد اتخذ السومريون مثلا من ظاهرة الطوفان

بداية عهدهم التاريخي أما المصريون القدماء فقد جعلوا من حكم كل ملك تقويمًا قائمًا بذاته ، ومعظم أهل الحضارات القديمة توصلوا إلى التوقيت وتقسيم الزمن بصورة أو بأخرى فقد عرف أهل العراق الشهور القمرية وكانوا يضبطون تقويمهم بإضافة بضعة أشهر كل عدة سنوات أما المصريون فقد عرفوا السنة على أساس ٣٦٥ يوما أى بفارق ١/٢ يوم في السنة عن توقيتنا الحالي - وعلى هذا لا تكاد تعترض المؤرخ صعوبة في تأريخ الأحداث التي أشارت إليها الوثائق والنصوص القديمة إذا ما أمكن ربطه بعهد ملك معين حيث أصبح في الإمكان تأريخ حكم معظم الملوك القدامى من تتبع قوائم الملوك واحتساب مدة بقاء كل منهم على عرش بلاده ، أما إذا كانت هناك حلقات مفقودة في قوائم الملوك ومدة حكمهم أو وجدت آثار لا تعززها مستندات أو وثائق مكتوبة مثل تلك التي خلفتها الحضارات السابقة لكتابتها ، فإن الباحث يستطيع الاستعانة بالوسائل المختلفة التالية :

أولا : في عصور الكتابة يتبع :

١- طريقة التقويم الفلكي : وهي تعتمد على ما يذكره أحد النصوص عن حدوث ظاهرة فلكية معينة حيث يمكن للمؤرخ أن يستعين بالفلك في تحديد تاريخ حدوثها وبالتالي يمكن تأريخ الأحداث والآثار التي ترتبط بها فمثلا تشير نصوص الملك « حورإي » (أحد ملوك دولة يابل الأولى) إلى معاصرته للملك الأشوري « شمشي -

أدد ، وبما أن النصوص الآشورية تشير إلى حدوث كسوف للشمس في عهد الملك الآشوري « أشوردان الثالث » - وهذه الظاهرة الفلكية أمكن إرجاعها إلى سنة ٧٦٣ ق. م - فقد أمكن جعلها نقطة يقاس تبعاً لها تسلسل تاريخ ملوك الآشوريين ومن معاصرة حمورابي للملك « شمشي - أدد » أمكن كذلك ضبط التقويم البابلي وتحديد عهد حمورابي في بابل بحوالى ١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق. م

ثانياً : في حالة العصور السابقة للكتابة - حيث لا توجد إلا آثار ومخلفات الحضارات التي سادت في تلك العصور - يمكن تأريخ الآثار والمخلفات الدالة على هذه الحضارات باتباع ما يلي :-

ب - طرق نسبية ومقارنة : وتتلخص هذه فيما يأتي :-

١ - دراسة الطبقات التي توجد بها الآثار وتقدير عمرها جيولوجياً وبالتالي يمكن تأريخ الآثار التي توجد فيها وعلى هذا يمكن تأريخ الحضارات الدالة عليها في حالة الطبقات الرسوبية مثلاً يمكن احتساب معدل الأرساب وعلى أساس سمك الطبقة الناتجة عنه يمكن تقدير عمر تلك الطبقة والمخلفات الحضارية التي وجدت بها ، كذلك يمكن تقدير عمر بعض الحفريات التي توجد في طبقة من الطبقات في مجاورة بعض المخلفات الحضارية وبالتالي يمكن تقدير عمر تلك المخلفات والحضارات المنتجة لها كما يمكن كذلك الاستعانة بعلم النبات القديم Palaeo - Botany عند دراسة حفريات أو مخلفات نباتية وبعلم الحيوان الوصفي Descriptive Zoology الذي يمكن

عن طريقه استنتاج تاريخ المخلفات والهياكل الحيوانية التي يعثر عليها، ومن الممكن أيضاً عن طريق هذه العلوم استنتاج الظروف المناخية التي سادت خلال تلك الحضارات التي ندرس آثارها ومخلفاتها - بل ومن الممكن فضلاً عن هذا تقدير الزمن الذي استغرقته حضارة من الحضارات بدراسة حلقات النمو في القطاع الأفقي للأشجار التي استخدمت في الصناعة في مخلفات تلك الحضارة أو التي وجدت بقايا منها بين آثارها حيث يسهل تقدير عمر هذه الأشجار على أساس حلقات النمو في قطاعها الأفقي .

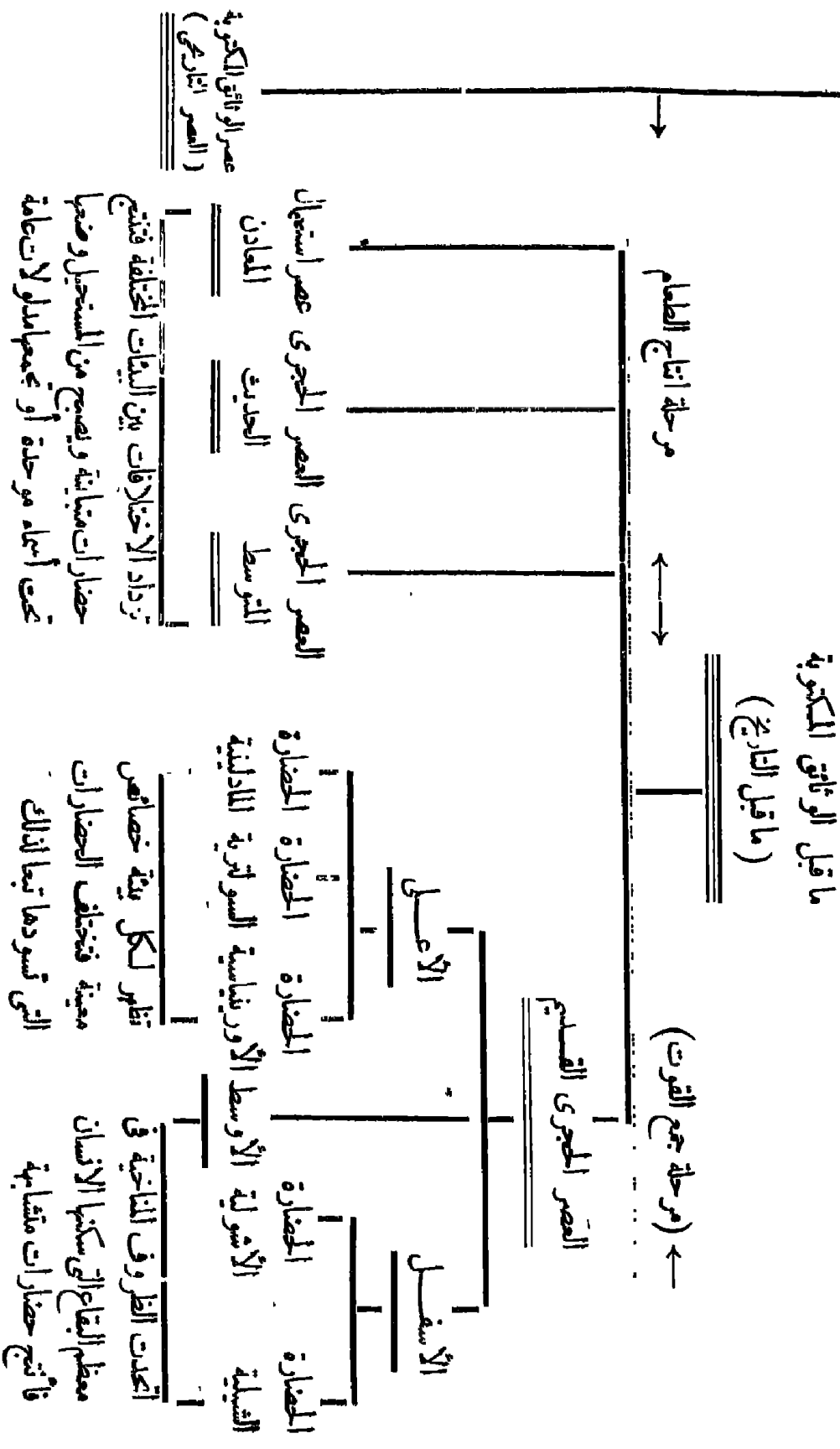
٢ - دراسة الطرز ومقارنتها (التيبولوجيا Typology) وبمقتضاها نقارن الآثار التي يعثر عليها في مناطق مختلفة بعد دراستها دراسة فاحصة شاملة بحيث يصبح في الأمكان استنتاج تاريخ تلك الآثار بعضها إلى البعض الآخر - ويمكن القول اجمالاً بأن تشابه آثار جهة من الجهات لآثار منطقة أخرى يوحي بأن الحضارات المنتجة لها كانت متعاصرة أما اختلاف تلك الآثار فيدل على أن هذه الحضارات لم تكن متعاصرة، ومن الجائز - على أساس ما نشاهده من تطور في آثارها - أن نحدد أيها كانت الأسبق وبناء على هذه القاعدة أيضاً يمكن ترتيب الآثار التي يعثر عليها في منطقة من المناطق على حسب التطور الذي يحدث في طراز وصناعة نوع أو أنواع معينة من هذه الآثار ، وأول من أستعمل هذه الطريقة في مصر هو الأثرى الإنجليزي Sir Flinders Petrie حيث اتخذ من الفخار الذي

عشر عليه بين آثار منطقة نقادة أساسا لتأريخ تلك الآثار إذ أنه رتب أنواع الفخار التي عشر عليها حسب ما شاهده من تطور فيها وبالتالي أمكن ترتيب الآثار التي وجدت معها بالنسبة إلى بعضها البعض كما سنشير إلى ذلك فيما بعد .

ج - طريقة الكربون ١٤ : هي أحدث طريقة ولكنها مع الأسف لا تعطى نتائج مؤكدة تماما كما أنه لا يمكن إجراؤها إلا على المواد النباتية فحسب ، ومع هذا فقد اتفقت النتائج التي أمكن الحصول عليها عند تأريخ نفس تلك الآثار بالطرق الأخرى ، وتعتمد طريقة كربون ١٤ هذه على نظرية تتلخص في أن النباتات تسكنسب من تفاعل الأشعة الكونية بالغلاف الجوي - المحيط بتلك النباتات - كربون ١٤ المشع وبانتهاء حياتها يتحول هذا الكربون الذي تكون فيها - بسرعة ثابتة - إلى كربون ١٢ غير المشع في فترة تقدر بحوالى ضعف المدة 5568 ± 30 سنة وبقياس بقايا كربون ١٤ المتخلف في أى مادة نباتية يمكن احتساب عمرها وبالتالي يمكن تقدير تاريخ الحضارة التي وجدت فيها بقايا من هذه المادة .

ومهما يكن من عدم كفاية المصطلحات التي أتبعها العلماء في تقسيم تاريخ الإنسان وحضاراته فإنها أصبحت أقوى من أن نهملها أو أن نحاول إيجاد بديل لها ولذا فإن من المستحسن أن نوضح تقسيم تاريخ البشرية على النحو الآتى :-

تاريخ الإنسان



نشأة الحضارة وتطورها

ظهرت أقدم السلالات البشرية ^(١) في جهات متفرقة من العالم القديم لا تكاد تختلف في ظروفها الطبيعية أو المناخية بعضها عن البعض الآخر ولذا لم تختلف المراحل الأولى لحياة البشر في أوراسيا عنها في أفريقيا. ولم يتميز الإنسان في منطقة عنه في منطقة أخرى فالكل سواء في أنهم كرسوا حياتهم لجمع القوت الضروري لطعامهم ، ويرى البعض أن الإنسان في بدء حياته كان يستعين ببعض القطع الطبيعية الملائمة من الأحجار أو فروع الأشجار يلتقطها - كما هي دون تهذيب - للاستفادة منها في أغراض الصيد والقتال وجمع القوت وقد استمر الإنسان إما هاربا من وجه عدو من الحيوان أو الإنسان وإما مطاردا لفريسته منهما فترة طويلة لم يتوصل فيها إلى أى شيء من أسس الحضارة ولم يعرف كيف يوقد النار وقد أطلق على هذه الفترة « فجر العصر الحجري » أو « العصر الأيوليثي » Eolithic Period ولكن غالبية العلماء لا يرون مبررا لجعل هذه الفترة مرحلة حضارية قائمة بذاتها ويدخلونها ضمن أولى المراحل الحضارية التي مر بها الإنسان .

ولذا ما نظرنا إلى مخطط تقسيم البشر لوجدنا أن أقدم عصور ما قبل الكتابة وهو « العصر الحجري القديم » ينقسم ثلاثة أقسام هي على حسب الترتيب الطبيعي للطبقات التي وجدت آثارها فيها : - عصر

حجرى قديم أسفل عصر حجرى قديم أوسط ، عصر حجرى قديم
أعلى ، وقد شملت هذه الأقسام مراحل حضارية سميت بأسماء
الاماكن التى وجدت بها أهم أو أقدم آثار هذه المراحل
الحضارية : فالعصر الحجري القديم الأسفل يشمل الحضارتين
الشيلية والأشولية نسبة إلى بلدة Chelles على نهر المارن بفرنسا وإلى
كهف Saint Acheul بفرنسا كذلك ، أما العصر الحجري القديم
الأوسط فقد سادته الحضارة المoustيرية - نسبة إلى كهف Le Moustier
بفرنسا - إلا أن تغير الظروف المناخية خلاله نظرا لابتداء العصر
الجليدى الرابع جعل العالم القديم ينقسم إلى قسمين كبيرين : أوراسى
وأفريقى ، وفى العصر الحجري القديم الأعلى وجدت الحضارات
الأوريناسية والسولترية والمادلينية نسبة إلى كهف أورينياك Aurignac
وبلدة سولترى Solutrê فى وادى الساون وكهف لامادلين
La Madelene فى الدردنى - وازداد تباين المناخ خلال هذا العصر
فبينما ظل المناخ على برودته فى أوراسيا كان المناخ فى أفريقيا مازال ملائما
لأن يعيش الانسان فى الهواء الطلق ولكنه أصبح أقل أمطارا وأكثر
جفافاً وأدى هذا بدوره إلى انخفاض مستوى المياه فى الأنهار
والمجارى المائية وبدأت البيئات المحلية تتميز بعضها عن بعض ثم
أخذت مميزات البيئات المحلية تزداد وضوحاً حتى أصبحت لكل منها
فى العصور التالية ظروفها وحضاراتها الخاصة .

ونظراً لأن الحضارات الأولى التى تمثلت فى العصر الحجري

القديم الأسفل وفي العصر الحجري القديم الأوسط لم تختلف في
صناعاتها بين منطقة وأخرى فسندشير إلى خصائص هذه الحضارات
ومظاهرها في هذين العصرين .

العصر الحجري القديم الأسفل :

الحضارة الشيلية : سبق أن أشرنا^(١) إلى أن الإنسان بدأ حياته
يحاول الإفادة مما يلتقطه من قطع حجرية وفروع أشجار في الدفاع
عن نفسه وفي الصيد وجمع القوت وفي بداية العصر الحجري القديم
الأسفل (أى في الحضارة الشيلية) أخذ يحاول تهذيب القطع الحجرية
كى تصبح مناسبة لقبضة اليد وفي نفس الوقت ذات حافة حادة فكان
يتخذ كتلة كرية من الحجر الصلب بمثابة مطرقة يهذب بها القطعة
الصوانية التى يريد تهذيبها ويبدأ بطرق حافات هذه القطعة الصوانية
من أحد وجهيها بعناية ثم يقلبها على الوجه الآخر ويطرقها على النحر



السابق بحيث تصبح كثرية الشكل ويكون
حوالى ثلثي محيط القطعة حادا كاللمبراة بينما
يبقى الثلث الباقى بقشرته الأصلية دون
تهذيب وهو شكل مستدير فى الغالب لى
تتمكن اليد من القبض عليه وقد عرفت
هذه الآلة باسم الفأس اليدوية

شكل (١) فأس يدوية شيلية
Coup de poing (Hand Axe) ومن هذا يتضح أن الآلة كانت تتخذ
من النواة نفسها (شكل ١) .

ومن المحتمل أن المكاشط Scrapers وجدت في هذه الحضارة إلى جانب الفتوس اليدوية وهذه كانت عبارة عن قطع مستديرة من الصوان تمتاز بحافة حادة مستقيمة وكانت تستخدم في قطع اللحم وكشط الجلد وربما وجد الإنسان نفسه في أواخر هذه الفترة بحاجة إلى ثقب الجلد فجعل بعض فتوسه اليدوية تدق وتستطيل بحيث أصبحت مثقابا borer .

وعلى العموم لا نجد تنوعا كبيرا في شكل الآلات أو أغراض استعمالها خلال هذه الحضارة إذ كان الإنسان يستخدم الآلة الواحدة في أغراض شتى ، ومع كل كان لابد أن يستعمل عدداً كبيراً من هذه الآلات إذ كان يلقي بها عدوه أو فريسته .

وقد عاش الإنسان في هذه الفترة صيادا متجولا وكان المناخ في عصره دافئا فلم يلجأ إلى الكهوف إلا حيث يشتد المناخ وعاش في العراء ينتقل من مكان إلى مكان وكانت قدرته على التفكير محدودة ويظن أنه كان من تلك الأجناس القرية الشبه بالقردة العليا - ورغم هذا لم توجد آثاره في أماكن عديدة وربما كان ذلك لقلة أعداده نسبيا ومن المرجح أن الإنسان في هذا العصر وصل إلى أوروبا من شمال أفريقيا عن طريق جبل طارق لأن آثاره لم تكتشف في وسط أوروبا وشرقها ولم توجد إلا محطة شيليه واحدة في شمال إيطاليا أما معظم آثاره فقد وجدت في غرب أوروبا وأسبانيا .

الحضارة الأشولية:

لا نكاد نجد فارقاً كبيراً بين هذه الحضارة وسابقتها فقد ظل يستعمل الفأس اليدوية ولكنها كانت أكثر إتقاناً من الفأس الشيلية (شكل ٢) وأصغر منها حجماً إذ أن الإنسان الأشولى لم يكتف



يتمذهب - حافة الآلة بل كان يهذب سطحها كله تاركاً أقل سطح ممكن من القشرة الأصلية فى أسفل الاداة لكي يجعل شكلها متناسقاً كما أنه لم يكتفى باستعمال الفأس اليدوية المؤخوذة من النواة وحدها بل بدأ يستغل كذلك بعض الشظايا فانخذ

منها بعض أدواته كما استعمل بعض شكل ٢ - فأس يدوية أشولية
الآلات الخشبية والعظمية وكثر عدد المكاشط والمثاقيب التى استخدمها .

ويبدو أن المناخ ظل على حالته السابقة من الدفء وكثرة التساقط ولكنه أخذ بعد ذلك فى البرودة والجفاف ولذا نجد أن آلات الانسان فى ذلك العصر تختلط أحيانا ببقايا حيوانات من التى تعيش فى مناطق دفيئة وفى أحيان أخرى تكون مختلطة ببقايا حيوانات من ذوات الفراء الا أنه على العموم لم يكن من القسوة بحيث يضطر الانسان الى الالتجاء الى الكهوف فظل يعيش فى العراء صيادا ولكنه كان يفضل القرب من مجارى المياه بدليل وجود معظم آثاره عندها - وربما كان بدء اشتداد البرودة هو الذى أدى به الى اختراع النار واستعمالها

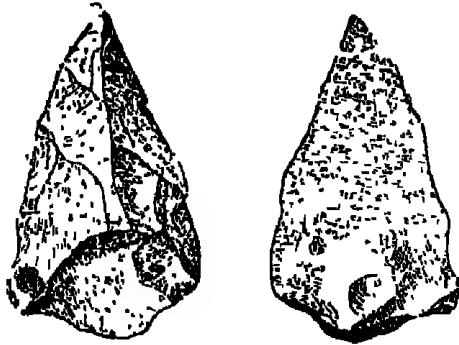
فقد وجدت بين أدواته مخلفات المواعد ولكنها كانت قليلة على العموم . ويرى البعض تسمية بعض صناعات هذه الحضارة باسماء مختلفة فى بعض جهات أوربا ولكنها على العموم لا تخرج عن كونها صناعات أشولية وقد ظلت السلالات البشرية البدائية تعيش خلال هذه الفترة ويمثلها فى أوربا إنسان هيدلبرج وفى إفريقيا إنسان روديسيا ولكن لم يوجد فى الشرق الأولى من البقايا العظيمة ما يبين نوع إنسان هذا العصر .

العصر الحجري القديم الاوسط :

الحضارة المoustيرية :

تتميز هذه الحضارة عن سابقتها بأن معظم أدواتها من الشظايا وكانت تصنع بواسطة تشكيل الآلة على الكتلة نفسها ثم تفصل عنها بطريقة واحدة وبعد ذلك تشظى حافتها ولا يوجد فى هذه الحضارة إلا أدوات

قليلة من النواة (شكل ٣) - وقد تعددت أشكال الشظايا المoustيرية وبدأت تظهر فيها المكاشط الجانبية أى التى شظيت من أحد جانبيها فقط ورؤوس الحراب مما أدى إلى تضائل شأن الفأس



شكل ٣ - آلة مستيريه

اليديوية - ونظرا لاشتداد البرودة فإن الانسان لجأ إلى الكهوف فى أوربا وربما اضطرته هذه الظروف إلى التكسب فيها فأتاحت هذه

الحياة الجماعية الفرصه لرقيه الاجتماعى وتقدمه فى التفكير وفرضت عليه قسوة المناخ مطالب جديدة كصنع الملابس من الجلود اتقاء من البرد .

ويستدل من البقايا البشرية التى عثر عليها فى جهات كثيرة من غرب أوربا على أن إنسان هذا العصر كان من السلالة المعروفة باسم إنسان نياندرثال ويعتقد البعض أن أعدادا كبيرة منه هاجرت إلى أفريقيا - لاشتداد البرد - عن طريق جبل طارق ومالطة وصقلية وقد انتشر هذا الانسان إلى وادى النيل ولكن يبدو أنه انقرض تماما بعد هذا العصر وظهر الانسان الحديث (أى الانسان العاقل Homo sapiens) فى العصر التالى أى فى العصر الحجري القديم الأعلى ومنذ ذلك الحين أخذت حضاراته فى التطور والتشعب إلى وقتنا هذا - ومادام موضوعنا قاصرا على تاريخ الشرق الأردنى القديم قبل عصوره التاريخية فسنكتفى بدراسة حضاراته من أقدم العصور إلى وقت معرفة الكتابة .

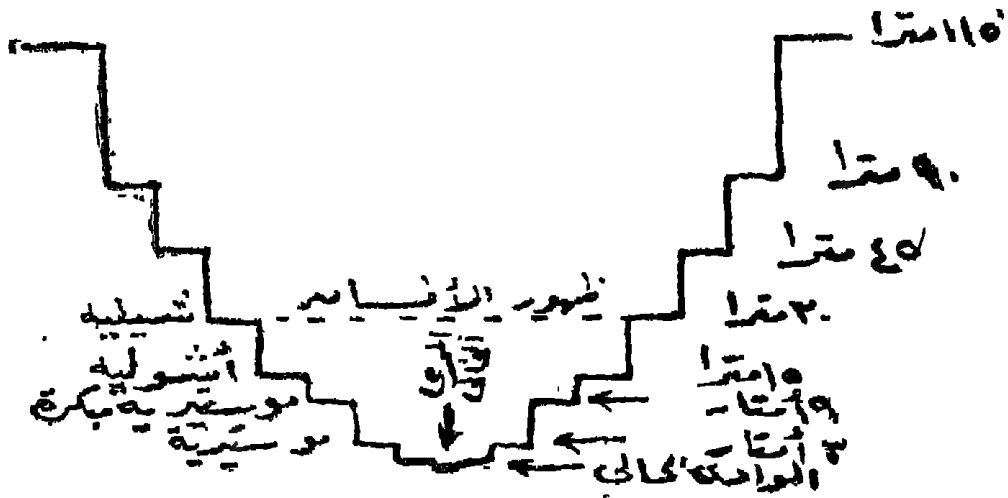
أهم المؤثرات في حضارة الشرق الأدنى القديم

سبق أن بينا أن التشابه الحضارى ظل قائما بين أوراسيا وأوربا طالما كانت الظروف الطبيعية والمناخية متقاربة وما أن أخذت هذه الأخيرة في التغير حتى بدأت المناطق المختلفة تتميز عن بعضها البعض ولعبت كل بيئة دورها في تطور الحضارة التي نشأت فيها ، وكانت وديان الأنهار العظيمة بصفة خاصة أعظم المناطق حضارة ورقيا وكان لهما أكبر الأثر في تاريخ العالم القديم ومن أهم هذه الوديان تلك التي تقع في إقليم الشرق الأدنى بصفة عامة ومصر والعراق بصفة خاصة فإذا ما نظرنا إلى خريطة للعالم القديم لوجدنا أن الصحارى الواسعة تمتد فيه غير شمال أفريقيا وجنوب غرب آسيا بحيث تمثل إقليما متميزا يحتل وسط العالم القديم . - ولم يكن هذا الإقليم دائما على حاله الراهنة من الجفاف والجذب بل كان في العصور السحيقة ينعم بكمية من الرطوبة والتساقط هيأت له حياة نباتية وحيوانية كافية وأصبح في مقدور سكانه أن يلعبوا دورا كبيرا في تطور الحضارة وانتشارها إذ أن المركز المتوسط الذى كان يشغله هذا الإقليم قد أتاح الفرصة لبعض المظاهر الحضارية كي تنتقل منه إلى الأقاليم المجاورة ومن الأقاليم المجاورة إليه كذلك ، فمن المعروف أن عصور تقدم الجليد في أوربا والفترات الدفيئة التي تراجع فيها كانت تقابلها أدوار مطيرة في العروض الدنيا التي تشغلها هذه الصحارى

الآن ولم يقل التساقط إلا في فترات تراجع الجليد الباردة ، وعلى هذا يمكن القول بأن ذلك الإقليم ظل ينعم بظروف مناخية ملائمة إلى أوائل العصر التاريخي تقريبا وإن كان الجفاف قد أخذ يحل فيه إبتداء من نهاية العصر الحجري القديم الأسفل ولكنه لم يصل إلى ذروته من الشدة إلا في العصر الروماني ولولا أحواض الأنهار في مصر وسوريا والعراق وغيرها لأصبحت هي الأخرى جزءا من الصحارى المحيطة بها .

وفي بداية الأمر كان الانسان ينتشر في تلك المناطق الواسعة ولكنه حرص على أن يظل قريبا من مجارى المياه التى كانت تتمثل في الأنهار العظيمة الحالية وكثير من أودية الصحراء التى صارت جافة الآن فلما أخذ الجفاف يشتد أصبح الانسان لا يبعد في إقامته كثيرا عن المجارى المائية الدائمة والأنهار العظيمة مثل نهر النيل ونهرى دجلة والفرات وأنهار سوريا وآسيا الصغرى وغيرها - ونظرا لأن تلك الأنهار لم تعمق مجاريها إلا بعد وقت طويل ولأن كمية التساقط كانت أكبر منها الآن فان السهول الفيضية لتلك الأنهار كانت في مستوى أكثر ارتفاعا من مستواها الحالى وكانت أكثر امتدادا على الجانبين - وكلما عمق النهر مجراه وقل التساقط كلما أخذت سهوله الفيضية تنخفض ويقل امتدادها أى أن مياه النهر كانت تنحسر عن جانبيه تدريجيا ، وكان الانسان يتبع مياهه دائما حيث يظل يهبط من الهضبة ليعيش على جانبي النهر تاركا وراءه مخلفات في الجهات التى يعيش فيها من

قبل - وهكذا نجد أن أقدم ما عثر عليه من آثار الانسان وجد بعيدا في قلب الصحراء وعلى منسوب أكثر إرتفاعا من منسوب الوادى الحالى، وعلى هذا نجد أن أقرب الآثار فى تاريخها إلى عصرنا الحالى هى أقربها إلى الوادى وتوجد فى منسوب أقل إرتفاعا من الآثار التى ترجع إلى عهود أقدم وهكذا نجد أن آثار الحضارات المختلفة تقع فى مدرجات على جانبي النهر ويكون وضعها عكسيا بالنسبة لما نعبده من وضع معتاد للآثار التى يعثر عليها فى طبقات متتالية وفق ترتيبها الزمنى .



شكل رقم (٤)

مدرجات النيل فى العصور المختلفة

والخلاصة أن موقع الشرق الأدنى فى العالم القديم وتضاريسه والظروف المناخية التى سادتة كان لها أكبر الاثر فى تاريخه الحضارى .
وسنتناول فيما يلى حضارات ما قبل التاريخ فى أقطاره المختلفة .

أولا : ما قبل التاريخ في مصر

في الوقت الذي كان فيه العلماء في أوروبا يحاولون التوصل إلى معرفة أصل الإنسان بالتعمق في دراسة عصور ما قبل التاريخ كان فريق آخر يجاهد في سبيل معرفة تاريخ مصر الفرعونية من مصادرة الأصلية عن طريق حل رموز اللغة المصرية المدونة على الآثار وقد ذهب غالبيتهم في ذلك الوقت إلى أن مصر لم تعرف عصور ما قبل التاريخ وأن المدفنة المصرية لم تنشأ في صميم بيئتها بل بدأت فجأة بقيام الأسرة الأولى أو قبلها بقليل ، فهي بناء على هذا الرأي نتيجة لجهود جماعة من الأجانب وفدوا إلى مصر أما غزاة أو مهاجرين مسالمين حيث أقاموا فيها نظاما للحكم وكان مينا وخلفاؤه من نسل هؤلاء الأجانب - وقد تشجع لهذا الرأي عدد من العلماء من بينهم بترى وحاولوا معرفة الموطن الأصلي لهؤلاء الوافدين والجنس الذي ينتمون إليه والطريق الذي سلكوه وقد ثار كثير من الجدل حول هذه الموضوعات - ومع هذا فحينما أقيم الاحتفال بافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٨ وفد إلى مصر عددا من العلماء كان من بينهم العالم الجيولوجي أرسلان Arcelin الذي تجول في أنحاء مصر فوجد أدوات حجرية في منطقة الأهرام وفي الأقصر تشبه تلك التي وجدت من العصور الحجرية في أوروبا ، ورغم استمرار إنكار البعض لوجود العصر الحجري في مصر فقد ظلت الجهود مستمرة إلى أن انتهى الأمر بإثبات وجود العصور الحجرية في مصر بما لا يدع مجالاً للشك - ومع

ان العصور الحجرية التي وجدت في مصر كانت آثارها تماثل آثار تلك العصور التي وجدت في أوروبا بنفس الترتيب تقريبا الا أن كثيرا من العلماء ما زالوا يظنون بأن الحضارة ليست أصيلة في مصر .

ولا يمكننا مع الأسف أن نحدد الجنس الذي كان أول من استقر بمصر في أقدم العصور اذ لم يعثر على بقايا بشرية لأصحاب أقدم الحضارات التي عرفت فيها أو قريبا من وادى النيل — وقد حاول الباحثون أن يتعرفوا عليهم من البقايا التي عثر عليها من عصور لاحقة ولكن جهودهم لم يحالفها التوفيق تماما حتى الآن حيث أن العناصر التي تدخل إلى مصر في عصورها المختلفة لا تلبث أن تندمج مع السكان الأصلية وتختلط بمميزات الجنسية أو تفقدها فلا يظهر من مميزات الأجناس الأخرى الا آثارها ملطفة بدرجات متفاوتة ومن حين الا حين .

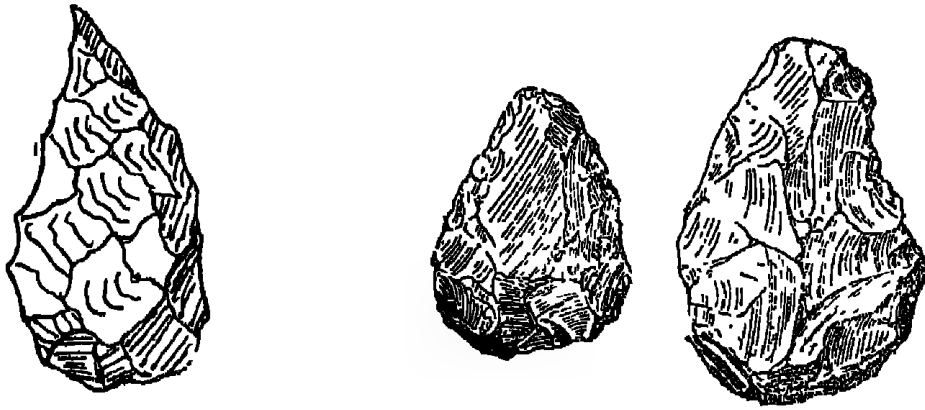
العصر الحجري القديم

١ : العصر الحجري القديم الاسفل :

١ - الحضارة الشيلية :

وجدت آثار هذه الحضارة في مناطق مختلفة من القطر المصرى وان كانت معظمها في مناطق بعيدة عن الوادى ، في الصحارى أو في التلال التي تحف بالوادى ، وهى لا تخرج عن كونها آلات حجرية تشبه تلك التي عثر عليها في أوروبا أى من الفئوس الحجرية وان كان بعضها يهذب بحيث تصبح الآلة ذات أوجه ثلاثة (كمنشور ثلاثى

في جزئها المشغول (بدلا من وجهين كما في الفتوس الشيلية الأخرى وربما كان اختيار النواة من الحصى المربع هو السبب في انتاج هذا الشكل لأن الانسان كان يكتفى بتشظيتها من أعلاها بضربة واحدة أو ببعض الضربات فتصبح ذات شكل هرمي ، على أنه يجب أن لا يعتبر هذا النوع من الأدوات مميزا للصناعة الشيلية في مصر إذ أن الفتوس اليدوية الأخرى لا تختلف عن زميلاتهما في سائر أنحاء العالم القديم (شكل ٥) .



شكل ٥ - آلات شيلية من مصر

٢ - الحضارة الأشولية :

إزدادت العناية بالفتوس الهرمية فشذبت حافتيها وصغرت في الحجم واستطالت فأصبحت رقيقة خفيفة ولها حد مستقيم مشطوف كما وجدت فتوس أخرى من الشكل المعتاد في الصناعة الأشولية في أوروبا وظهرت بعض الأدوات الأخرى مثل المخارز المدببة الأطراف والأسلحة الحجرية ذات الحدود المتعرجة أو المستقيمة ، أما المكاشط فقد أصبحت قليلة العدد (شكل ٦) ولم



شكل ٦- آلات آشولية من مصر

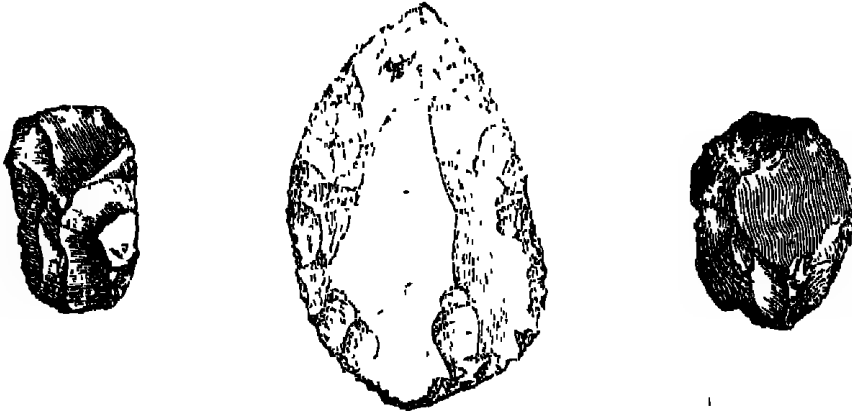
يكتف بصناعة هذه الآلات من الصوان بل استعملت بعض أنواع أخرى من الأحجار في صناعتها كذلك .

هذا ولم يعثر على بقايا عظميه يستدل منها على السلالات التي عاشت في وادي النيل خلال العصر الحجري القديم الأسفل ولكن وجدت بقايا حيوانية في بعض المناطق يستدل منها على أن المناخ والنبات والحيوان كلها تشبه ما كان سائدا في أوروبا إن كان من المرجح أن المناخ كان أكثر ميلا إلى الدفء وكثرة الرطوبة بدليل العثور على بقايا تماسيح وفيله وفرس النهر .

ب- العصر الحجري القديم الاوسط :

سبق أن بينا أن تغير الظروف المناخية قد أدى إلى تنوع الحضارات فانقسم العالم خلال هذا العصر إلى قسمين كبيرين : أوراسي وأفريقي - وأن الانسان في أوراسيا قد آوى إلى الكهوف بينما ظل في أفريقيا يعيش في العراء ، ومع كل فإن الأدوات التي اتخذها الإنسان في مصر في أوائل هذا العصر لم تختلف عن مثيلاتها في أوروبا أي أنها كانت

تمثل الصناعة الموستيرية ومعظمها من الشظايا وهي عبارة عن رقائق من الحجر تمثل نصالا مدببة ومحتات Scrapers وغيرها (شكل ٧) -



شكل ٧ - أسلحة موستيرية

ومن المرجح أن هذه الصناعة قد استمرت في مصر فترة أطول من استمرارها في أوروبا ولكنها أخذت تتطور وتنوع أدواتها حسب أغراض الإنسان المتزايدة وصغرت في حجمها واتخذت أشكالا هندسية حتى أطلق على الأدوات التي ظهرت في أواخر هذا العصر اسم الصناعة الموستيرية المعصرية « أو ما قبل السبيلية » .

وهي في واقع الأمر تمثل مرحلة مبكرة من حضارة العصر الحجري القديم الأعلى في مصر - وقد يرى البعض أن الحضارة العاطرية التي ظهرت صناعاتها في الواحات الخارجية والفيوم تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة الموستيرية المصرية كما أن البعض يلحق بها الحضارة السبيلية ^(١) التي ظهرت فيما بعد ولكن لا يمكن تأكيد ذلك بصفة قاطعة .

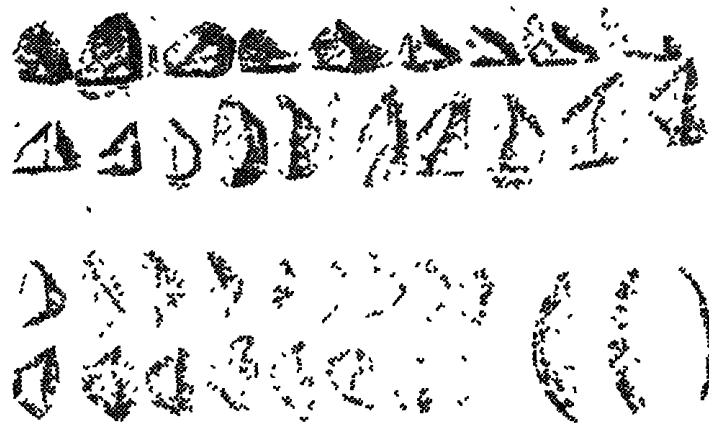
(١) نسه إلى قرية السبل قرب كوم أمبو وسنشير إلى هذه الحضارة فما

ولم يعثر على بقايا يستدل منها على جنس الانسان الذى عاش فى مصر خلال هذه الفترة وإن كان من المرجح أن الانسان الحديث كان يعيش فى وادى النيل بالفعل كما يستدل على ذلك من أدواته المتقدمة التى تركها خلافا لما عرف فى أوروبا حيث ظل انسان نياندرثال يعيش فى كهوفها طوال هذا العصر ولكنه انقرض بعد ذلك وحل الانسان الحديث بعد ذلك فى أوروبا فى العصر التالى أى فى العصر الحجري القديم الأعلى .

العصر الحجري القديم الأعلى .

ازداد التباين بين أوروبا وأفريقيا فبينما أخذت شدة البرودة تزداد فى أوروبا ظل المناخ فى أفريقيا ملائما لأن يعيش الانسان فى الهواء الطلق ولكنه أصبح أقل أمطارا وأكثر جفافا من فترة الحضارة المoustيرية فأنخفض مستوى الماء فى الانهار والمجارى المائية وقلت الحياة النباتية وتبدلت أنواع الحيوانات فى مساحات واسعة من العالم القديم فأخذ الانسان فى هجرها إذ رأى أنها تتحول صحارى مجربة واضطر أن يحصر إقامته فى الاماكن القريبة من مجارى المياه ، ولم يترك لإنسان أفريقيا من هذا العصر آثارا تعادل فى مستواها من الناحية الفنية تلك التى تركها زميله المعاصر له فى أوروبا ولم تتعدد مظاهر حضاراته فى المناطق المختلفة كما حدث فى أوروبا بل سادت فى شمال أفريقيا حضارة واحدة هى الحضارة القفصية (نسبة إلى قفصه فى شمال تونس) استمرت إلى ما بعد العصر الحجري القديم الأعلى أى ما يقابل العصر الحجري المتوسط

إلا أن مصر نظرا لظروف يثبتها الخاصة انفردت في حضارتها بمظاهر مميزة بما دعا إلى تسميتها باسم « الحضارة السبيلية » وإن كانت في واقع الأمر متفرعة عن الحضارة القفصية - ويرى البعض أن الحضارة القفصية قد مرت بأربعة مراحل تنفق الثلاثة الأولى منها وأقسام العصر الحجري القديم الأعلى أما المرحلة الرابعة والأخيرة فقد عبروا عنها باسم مرحلة الانتقال إلى العصر الحجري الحديث أى أنها



شكل ٨ - أدوات سبيلية (موسيرية مصرية)

تتفق والعصر الحجري المتوسط - كما يرى البعض تقسيم الحضارة السبيلية في مصر إلى ثلاثة مراحل تقابل أقسام العصر الحجري القديم الأعلى وحضارة العصر الحجري المتوسط في أوروبا أى أن المرحلتين الثانية والثالثة تمتدان إلى ما يقابل العصر الحجري المتوسط ، ومهما كان الأمر فإن الآلات التي اتخذت في هذا العصر كانت صغيرة على العموم وتغلب فيها الأشكال الهندسية (شكل ٨) . ولدقة هذه الآلات أطلق عليها اسم الآلات الميكروليثية Microlithic . وقد كشف إدموند فينيارد . . Edmond Vignard عن عدة مواقع تنتمي إلى هذا العصر في مصر ومن أهمها قرية السبيل التي سبقت الإشارة إليها (١) وقد ظل الإنسان يعتمد على الصيد في حياته - ويبدو أن إنسان نياندرتال قد اختفى من أوروبا وحلت محله أجناس أخرى .

العصر الحجري المتوسط

يعد هذا العصر مرحلة الانتقال بين حضارات العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث في أوروبا ولم تستغرق هذه المرحلة زمنا طويلا بل وكثيرا ما نجدها تختفى في كثير من المناطق ولا نكاد نلمسها في شمال أفريقية ومصر فالفقضية في الأولى والسبيلية في الثانية تمتدان إلى العصر الحجري الحديث ولذا لا يشار إليها في دراسة العصور الحجرية في تلك المناطق .

(١) أنظر أعلاه من ٢٤

وقد درج العلماء على تقسيم الفترة التي تقع بين الحضارة السبيلية وعصر الأسرات - في مصر إلى عصر حجري حديث وعصر ما قبل الأسرات - ولكن نظراً لأن الحضارات التي ترجع إلى ما بعد السبيلية لم تدرس بدقة تامة كما أنها جميعاً عرفت المعادن فإن من المستحسن إعادة النظر في دراستها حتى يمكن تأكيد ترتيبها الزمني ولا بأس من أن تدخل جميعها في عصر ما قبل الأسرات لأن وجود المعادن فيها يجعل انتساب بعضها إلى العصر الحجري الحديث غير صحيح ومع هذا فسوف نتبع في دراستها التقسيم الذي ما زال مألوفاً لدى معظم المؤرخين على النحو التالي .

العصر الحجري الحديث

ازداد تغير المناخ فأصبحت الاختلافات بين البيئات المحلية أكثر وضوحاً وازداد الجفاف في الشرق الأدنى حتى أصبح في جفافه قريباً من مناخنا الحالي وبذلك اضطر الإنسان أن يقترب من الوديان أكثر من ذي قبل ، ولم يغامر بالابتعاد عن الأنهار فاستقر في جماعات بالقرب منها والجماعة الحاجة إلى ضمان غذائه فاستأنس الحيوان وعرف الزراعة ، وكان من الضروري وقد عرف الزراعة أن يختزن محصوله فعرف صناعة الأوان وبذلك أقام حياته على أسس اقتصادية ثابتة .

وانتقل أهل مصر من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار ، وكان فيضان النهر المنتظم من الجنوب إلى الشمال وهبوب الرياح السائدة

من الشمال إلى الجنوب من أهم الأسباب التي أدت إلى تنظيم المجتمع المصرى والتمهيد لقيام حكومة تأتمر بأمرها الجماعات المختلفة إذ أن الفيضان السنوى كان - من جهة - يشكل خيرا مشتركا يعمل الجميع على الاستفادة منه قدر المستطاع فعرفوا كيفية تصريفه الى أماكن زراعتهم عن طريق قنوات وحفر ورفعوا مياهه إلى الاراضى التى تعلو عن مستواه ، كما كان - من جهة أخرى - يشكل خطرا مشتركا يعملون على مجابهته عند ارتفاع فيضانه الى درجة الخطورة أو اذا انخفض مستواه عن الحاجة ، وقد وجدت الجماعات المستقرة على جانبيه أن من اليسير التجول فيه نحو الشمال بمساعدة تيار اندفاعه ونحو الجنوب بمساعدة الرياح السائدة وعلى ذلك احتكت هذه الجماعات بعضها ببعض فنشأت بينها مصالح مشتركة ونشب النزاع فيما بينها نبعاً لذلك إذ كانت كل جماعة تحاول بسط نفوذها على جيرانها إلى أن أدى الأمر فى النهاية إلى توحيد شطرى مصر (فى مملكتين كبيرتين : الوجه البحرى والوجه القبلى) قبل بداية عهد الاسرات .

ولما كان الوجه القبلى يختلف فى طبيعته عن الوجه البحرى ، فالوادي فى الوجه القبلى عبارة عن شريط ضيق من الاراضى الزراعية على جانبى النهر تحف به هضبتين صخريتين من الشرق والغرب أما الوجه البحرى فتتسع أراضيه الزراعية إلى درجة كبيرة وتكثر بها المستنقعات وتتخللها البحيرات والقنوات وهى بعيدة فى معظمها عن الصحارى ، كذلك يتميز الوجه البحرى عن الوجه القبلى بأنه أقرب منه نسبيا

الى آسيا وأوربا ، ولذا كانت الحضارات التى نشأت فى كل من هذين الاقليمين تتسم بمظاهر خاصة تجعلنا نميز فيما بينها - أما الفيوم التى تعد أشبه بواحة فى الصحراء بين هذين القسمين من مصر ولكنها أقرب إلى الوجه البحرى فقد اشتركت حضارتها (فى صفاتها) مع حضاراته أكثر من اشتراكها مع حضارات الوجه القبلى ولذا الحقناها به وإن كنا نميل إلى جعلها حضارة قائمة بذاتها (١) .

والحضارات التى تمثل هذا العصر فى الوجه القبلى هى :
دير تاسا والبدارى .

والحضارات التى تمثل هذا العصر فى الوجه البحرى هى :
حلوان الأولى « العمرى » ، مرمدة بنى سلامة

وقد سبق أن ذكرنا أن الجفاف كان له أكبر الأثر فى هبوط السكان من الهضبة إلى الوادى قرب مجرى النهر وانتظامهم فى جماعات - وقرى بعد أن اخترعوا الزراعة واستأنسوا الحيوان وكان من أثر ذلك أن انتظمت تلك القرى فى اتحادات تدافع عن نفسها ضد خطر مشترك أو ابتغاء لمصلحة مشتركة وكان النيل من أقوى أسباب الاتحاد كما كان أهم وسيلة للتواصلات ، وكان لتشابه البيئات المحلية فى كل من شطرى الوادى أثره فى تشابه حضاراتها ولكن هذه كانت تختلف فى

(١) أنظر فيما بعد ص ٢٨ .

الدلتا والفيوم عن نظائرها في الصعيد ثم أخذت كل بيئة تنفرد في حضاراتها تبعا لعوامل البيئة المحلية إلا أنها على العموم امتازت بتقدم صناعة الفخار وصقل الآلات الحجرية - وكانت الحياة في وادى النيل تشبه نظيرتها الآن وأن اختلفت بعض الشيء فمثلا كانت المستنقعات تسود الدلتا والأحراش منتشرة في الوجه القبلى وكانت الحيوانات الكبيرة الحجم كالزراف والضباع وأفراس البحر مألوفة لدى المصريين وسنتكلم بإيجاز عن كل حضارة على حدة .

الحضارة الناسية : (١)

هى أقدم حضارات العصر الحجرى الحديث فى الصعيد، وتنسب حضارة تاسا الى ديرتاسا التى تقع الى شمال البدارى بالقرب من قرية مستجدة ، وفيها كان الموتى يدفنون فى مقابر بعيدة عن المساكن ومنها مقابر وجدت مختلطة بمقابر البداريين الذين سنعرفهم فيما بعد ولذا يمكن أن يقال بأن الناسيين أقرباء أو أسلاف البداريين ويفضل بعض الأثريين أن يلحقوا هذه الحضارة بالحضارة البدارية ويعتبرونها جزءا منها ، ومهما كان الامر فقد أستدل من الآثار المكتشفة على أن الناسيين زرعوا الحبوب ولكنهم لم يعيشوا معيشة استقرار تامة إذ أن مقابرهم قليلة شديدة التفرق وكثيرا ما تكون

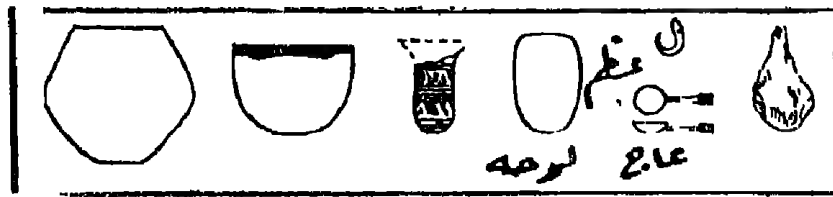
(١) يرى أولئك الذين يحملون الحضارات التالية للسبيليه وتسبق عصر الأسرات أن الحضارة الناسية من صميم حضارة البدارى - أنظر .

مختلطة بمقابر البداريين كما أسلفنا وكانوا يمارسون الصيد إلى جانب الزراعة البدائية وقد عرفوا النسيج واتخذوا الحلى من أصداف البحر المنقوبة والخرز الأسطوانى المصنوع من العظم أو العاج تحلية خطوط متقاطعة وأستعملوا الأساور ، ومن آثارهم التى عثر عليها : صلايات من المرمر والحجر الجيرى والأردواز لصحن الدهنج والمغرة كما عثر فيها أيضاً على مرايحى وبعض الحبوب وعدد من السنابير (الشص) وطبق من الخوص ودبابيس ولبر من العظام كذلك استعمل التاسيون الوسائد اذ وجد تحت رؤوس عدد من الموتى بعض التبن أو القش كان لاريب داخل كيس « جلد أو كتان » ولكنه فى مع الزمن - ويرجح أن الأشجار الكبيرة والمستنقعات كانت منتشرة فى ذلك العهد اذ وجدت قفوس من أحجار مختلفة - لا ريب فى أنها استخدمت من أجلها - أما فخار ديرتاسا فيمكن تقسيمه إلى نوعين .

أولاً : بنى ذو سطح خشن عادة وإن كان ناعماً أملس (لدرجة كبيرة فى بعض الأحيان) وهو خال من التوجات إلا فى بعض القدور النادرة التى نجد بها تموجات مائلة أو عمودية .

ثانياً : أسود رمادى أملس عادة ذو تموجات عمودية والبعض القليل مصقول هذا وقد عثر على أوانى ذات شفة سوداء مثل فخار البدارى وفقادة ، ومن هذه أقذاح ذات شفة مقلوبة على شكل البوق . وهى سوداء مصقولة تحلى سطحها الخارجى وشفاهها من الداخل خطوط محفورة مليئة بعجينة بيضاء تمثل خطوطاً أفقية بينها مثلثات مخططة لتثبيت المادة البيضاء فيها .

ونفخار هذه الحضارة خلو من علامة الصانع أو صاحب الآناء .
وربما كان أصل الألوان ذات الشفّة السوداء نوبياً ، هذا وقد وجد
قدح من الاقداح التي على شكل البوق في غرب أوربا مما يوحي بأن أقداح
غرب أوربا مأخوذة عنها ، ومن بين ما عثر عليه من أدوات فخارية
بعض المغارف غير العميقة لها لسان مسطح بارز من الحافة
بمثابة مقبض (شكل ٩) .



شكل ٩ - أدوات وأواني فخارية من تاسا

وكانت مقابر التوم عبارة عن حفر كبيرة بيضاوية في الغالب
والقليل منها ذو جوانب مستقيمة بزوايا مستديرة وفي جانبها الغربي
دخلة (طاقه) تتسع لآنية ، وكان الميت يدفن في وضع مقرفص
أشبه بالجنين ورأسه إلى الجنوب ووجهة إلى الغرب ، ويوضع معه
بعض الفخار إلى جانب يديه أو ركبتيه وجثته تغطي بجلد حيوان
بحيث يكون الشعر أو الصوف إلى الداخل ، يلف بعد ذلك في
حصير وتوضع الرأس فوق ما يشبه الوسادة من القش ويحيط بالميت
تقفيصه من الأغصان ورؤوسهم مستطيلة على العموم إلا أن بعض
الجماجم أعرض من جماجم أهل البداري ووجوههم أعرض ولذا
يمكن إعتبارهم أسلاف سكان مصر فيما قبل الأسرات ويمكن

أن نرجعهم إلى نفس جنس الهدندوة الحاليين أى أنهم كانوا من الحاميين .

البدارى

كشف Brunton عن آثار هذه الحضارة وقد أستدل منها على أنها تمثل عهدا قائما بذاته اذ بدىء باستخدام النحاس فيها ولذا يرى وضعها في أوائل عصر ما قبل الأسرات ^(١) وحددت لها الفترة ٢١ - ٢٩ من من التاريخ التتابعى أى أنها على هذا الأساس تقع فيما بين حضارتى ديرتاسا والعمرة قد وجدت آثار مشابهة لها فى الهمامية وبالقرب من مستجدة وفى البدارى نفسها ، فهذه الحضارة إذا مركزة فى منطقة البدارى ومحولها وإن كان البعض يرى أنها وجدت فى وادى Grassy فى جنوب الصحراء الليبية ، كما يدعى DeBono أن آثارا مماثلة لآثارها وجدت فى اللقيطة بوادى حمامات ^(٢) وقد وجدت بالخرطوم آثار يعتقد Arkell أنها معاصرة للبدارى كما أنه وجد آثارا أخرى فى

(١) يرجع أنصار الرأى الذى يعتبر الحضارات السابقة للأسرات وتلى السيليه كلها تدخل فى عصر ما قبل الأسرات أن حضارة البدارى أقدم حضارات ما قبل الأسرات فى مصر .

E. Baumgartel, op. cit , 20 ff

(٢) لا يمكن تأكيد أى من مذهبين الافتراضين ومع هذا أنظر :

W.B.K. Shaw, "Two Burials from the South Libyan Desert", in Journal of Egyptian Archaeology 22, 48-50.

De Bono, " Expedition Archéologique royale , au desert oriental (Keft - Kosseir) , in Annales du Service des Antiquités del' Egypte. 51,59 - 91

الشهنا ب (على الضفة الغربية للنيل وتبعد نحو ٣٠ ميل شمال
(أم درمان) يظن أنها سلف لها ^(١) ولكن آراءه في هذا السبيل لا يمكن
الآخذ بها لأنه بنى آراءه على تشابه غير كاف بين آثار الخرطوم
وآثار البدارى وعلى تقدير غير عادل لتأريخ كربون ١٤ لكل من
حضارتى الشهنا ب والفيوم ١ وعلى اعتبار أن هذه الأخيرة تسبق
حضارة البدارى فى الزمن مع أنها فى الواقع متأخرة عنها ^(٢) .

وآثار البدارى على العموم تدل على أن البداريين قد وصلوا إلى
مرحلة استقرار تام فى القرى وأنهم استأنسوا الماشية وأنواعاً من
الأغنام والماعز يرجح أن موطنها الأصيل كان فى غربى آسيا - أى
أن البداريين كانوا أرقى من أى جماعة عاشت فى العصر الحجري
الحديث إذ استقروا فى قرى منتظمة يزرعون الحبوب ويستأنسون
الحيوان فضلاً عن صيد البر والبحر وكانوا مهرة فى كل صناعات
العصر الحجري الحديث ومع أن بعض حيواناتهم يظن أنها تنتمى
إلى غربى آسيا إلا أن Miss Caton Thompson ترجح أنهم وفدوا إلى
مصر عن طريق منطقة تبعد كثيراً إلى الجنوب ، على الأقل عند
خط ٢٥° شمالاً أى بالقرب من أدفو .

وقد أستعمل البداريون طريقة التشظية بالضغط فى صناعة آلاتهم

(١) A. J. Arkell, "Early Khartoum," (Oxford 1949), spp. 73, (١)

119- 112: " Shaheinab " (Oxford 1953), 102 ff.

(٢) أنظر فيما بعد حضارة الفيوم ص ٤٣

الحجرية والسهم وأمتازوا عن أسلافهم بمعرفة النحاس فاستعاضوا
بالقأس النحاسية عن القأس الحجرية التي سادت في الحضارات
السابقة أى أنهم كانوا أرقى من سابقهم وأحدث منهم حضارة ويبدو
أنهم استخدموا السهم والقسي وعصى الرماية Boomerang ودبابيس
القتال ذات الرؤس التي على شكل القرص كما عرفوا السنانير وتفوقوا
في صناعة اللوحات الأردوازية وبعض لوحات من المرمر ، وقد عثر
بين أثارهم على ثلاثة تماثيل صغيرة لسيدات أحدها من الطين والآخر من
الطين المحروق والثالث من العاج وليست هذه التماثيل دقيقة الصنع وبعض
أجزائها مفقود - كذلك أتخذ البداريون حليا من أحجار مختلفة ومن
الأصداف والنحاس كان أهمها الخرز والأساور والأحزمة والأمشاط
الطويلة الأسنان من العاج، ومن المرجح أنهم عرفوا صناعة السلال
والحصر حيث عثر على أجزاء منها في مقابرهم كما يبدو أنهم كانوا
على دراية بنسج الكتان لأن بعضا من الأبر المصنوعة من العظام
وجدت بين أثارهم ومن بينها مجموعة وجدت في جعبة صغيرة
صنعت من ساق فرس النهر - ولم يقتصر البداريون في صناعة أوانيهم
على الفخار بل كانت لديهم أواني عاجية - منها أناء على شكل فرس
النهر - وأواني حجرية من البازلت أيضا .

ونفار البدارى أرقى من نفار الحضارات السابقة إن لم يكن
أرقى أنواع الفخار في مصر القديمة على الإطلاق - وهو يمتاز
بما يحلى جدرانه من تموجات rippling تشغل السطح الخارجى بأكمله

أو نصفه الأعلى أو تكون شريطاً يحيط بحافة الأنا، كذلك قد توجد هذه التموجات بالسطوح الداخلية لبعض الاواني الواسعة (طواجن وصحاف) ، ومع أنه مصنوع باليد - إذ لم تعرف عجلة الفخار بعد - إلا أنه يمتاز برقة الجدران وهو على سبعة أنواع :-

١ - مصقول بني ذو حافة سوداء Brown Black Topped Ware

٢ - مصقول أحمر ذو حافة سوداء Polished Red Black Topped Ware

٣ - مصقول أحمر فقط Polished Red Ware

٤ - أملس بني Smooth Brown Ware

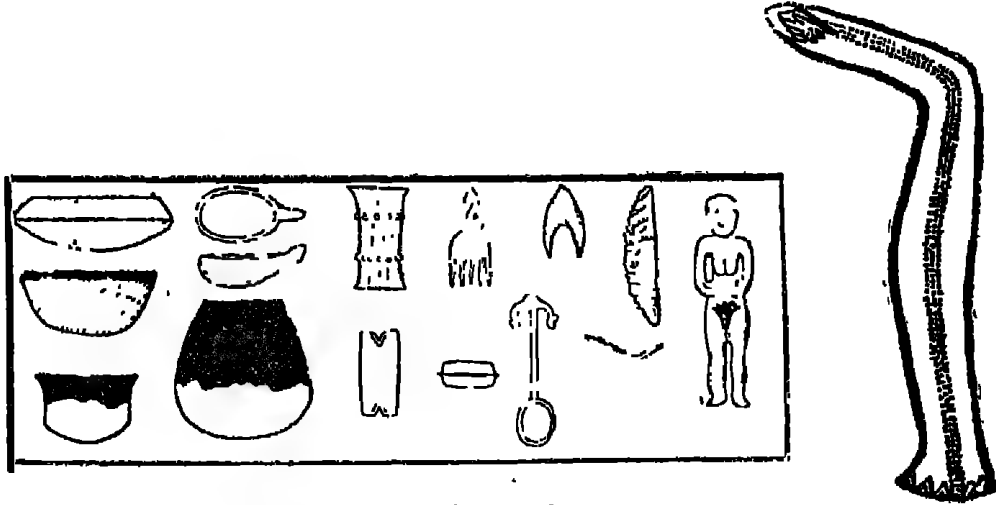
٥ - خشن بني Rough Brown ware

٦ - أسود بأكمله All black ware

٧ - متنوع Miscellaneous ware

أي أنه إما « أ » مصقول بني أو أحمر (ويكون غالباً ذو حافة سوداء) أو « ب » أملس أو « ج » خشن وهذين الأخيرين يكون لونهما بنيّاً في الغالب أو أسود اللون مصقولاً أو أملس - ونفخار البدارى عادة عبارة عن طواجن عميقة أو غير عميقة أي أن أشكاله متشابهة ومحدودة وذلك باستثناء عدد قليل من الاواني ذات الاشكال الخيالية كانت تغطى أحياناً بقطع من الخوص المضفور وقد عثر على قديم ملفوف بقماش الكتان ، ونفخار البدارى على العموم خلو من علامة الصانع أو المالك وكان يوضع غالباً عند رأس الميت

أو قرب يديه أو مرفقية أو عند ركبتيه وفي أحيان نادرة كان يوضع خلف الميت (شكل ١٠) .



أدوات وأواني من البدارى

عصر رمانيه

(شكل ١٠)

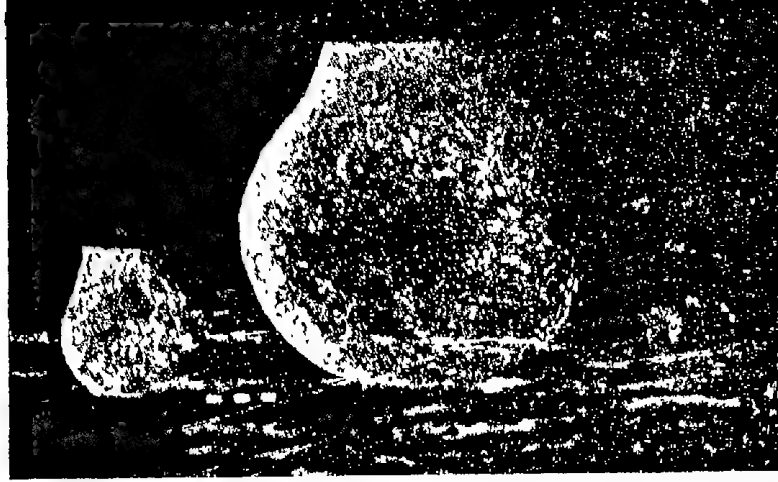
ومقابر البدارى فى شرق منطقة المساكن فى جهة يسهل حفرها بالآلات البسيطة - وهى غالبا بيضاوية الشكل أو مستديرة ونادرا ما تكون جوانبها مستقيمة وأركانها مستديرة وكانت تغطى بالحصير كما استعملت العصى فى تسقيفها أحيانا ، وكان الميت أحيانا يوضع على ما يشبه الأريكة (أو تقفيصه) وكان الحصير الذى يحيط بالجثة يعتمد على عصى على شكل خيمة تحمى الميت من انهيار الحصى والرمال عليه - ويدفن الميت عادة على جانبه الأيسر ورأسه إلى الجنوب وهو متجه إلى الغرب ويداه بالقرب من رأسه وتوضع إلى جانبه الأدوات اللازمة له فى حياته الدنيا وأدوات زينته وبعض

التأتم - وقد عني بـدفن الثور والكلب والشاة وغيرها مما يدل على
تقديس تلك الحيوانات والاعتقاد بوجود حياة أخرى وبالبعث
حيث وضعت في المقابر قرايين وأدوات من التي استعمالها الميت أثناء
حياته الدنيا كما يرجح أنهم اعتقدوا بتردد الروح على المقبرة .

حضارات الوجه البحرى

العمرى « حلوان ١ »

تقع في مدخل وادى حوف شمال حلوان وترجع تسميتها إلى
أمين العمرى الذى دل عليها بوفيرلايير B, Lapière ، ويعتقد
يونسكر أن الحضارة التي وجدت آثارها بها متأخرة عن حضارة مرمدة
لأنه يرجع حضارة مرمدة إلى أواخر الحضارة السبيلية - وقد كشف في
هذه الحضارة عن مساكن مستديرة في وسط كل منها موقد - أما المقابر
فكانت مستقلة عن المساكن فهي في ذلك تشبه حضارتى الفيوم
ودير تاسا - وتختلف عنها مرمده - ويؤدى إلى المقابر طريق خاص
وكان الميت يوضع في وضع الجنين وإلى جانبه توضع القرايين ، وهى
قليلة لا تعدو أناء من الفخار عبارة عن قدر أو طاجن يشبه أواني
مرمده وهى سوداء من لون واحد (شكل ١١) وتميز مقابر هذه
الحضارة بما فوقها من أحجار وهذه الظاهره لا تشبهها فيها
حضارة أخرى - هذا وقد عثر على فخار أسود شبيه بفخار العمرى في
طرة وقرب الاهرام مما يوحى بأنه انتشر في الدلتا، إلا أن مدى
انتشاره ليس واضحاً .



شكل ١١ - أواني من العمري

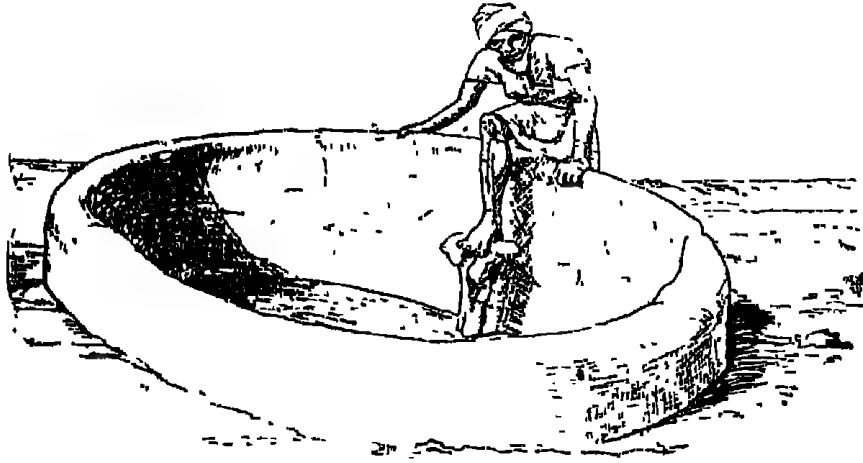
وقد عاود دى بونو DeBono الحفر فى العمري سنة ١٩٤٣ وقد
أستنتج بما وجدته فى منطقة قريبة من تلك التى حفر فيها Lapière
أنها تماثل حضارة العمري إلا أن مصطفى بك عامر يرى أن ما وجدته
دى بونو يمثل حضارة أرقى ويستحسن أن يطلق عليها حضارة
حلوان ب وستتكم عنها فيما بعد .

مرمدة بنى سلامه

وهى على بعد حوالى ٥٠ كم إلى الشمال الغربى من القاهرة بالقرب
من الخطاطبة غرب الدلتا وقد كشف عنها يونكر ومنجى وشارف
وترجع إلى أواخر العصر الحجري الحديث ، وتمثل هذه الحضارة
أيضا عند الحافة الشمالية للفيوم وخاصة فى منطقة قصر الصاغة وهى
المعروفة بحضارة فيوم ب التى يعتبرها مكتشفوها من أواخر الحجري

الحديث وأوائل ما قبل الأسرات ، ولكن يبدو أنها ترجع إلى عهد أحدث من ذلك كثيرا (١) .

وبدراسة الآثار التي عثر عليها في هذه المنطقة استدل يونكر من ثقوب وجدت محفورة في الأرض في مجموعات غير منتظمة على أن تلك الثقوب كانت موضع أعمدة لأشجار ثقام عليها أكواخ من البوص أو سائر من الحصير تحمي من الرياح الشديدة ، وإلى جانب ذلك كشف يونكر عن مساكن بيضاوية يعلو نصفها سطح الأرض ولكل منها مدخل خاص به قطعة من ساق فرس البحر مثبتة داخل الجدار للهبوط إلى داخل المسكن (شكل ١٢) الذي تنحدر أرضيته



شكل (١٢) منظر لما كان عليه مسكن بيضاوي من مرحلة وطريقة الهبوط لايه

إلى مكان منخفض ثبت به إناء ليتسرب فيه ما يدخل الحجرة من ماء وبأسفل الإناء ثقب لتصريفه في باطن الأرض ، وكانت الجدران

تبنى من كتل من الطين يوضع بعضها فوق بعض - كذلك عشر على
أهراء للحبوب وهى حفر قليلة الغور مسورة بسور من الطين وكانت
الحبوب توضع فى سلال تطمر فى داخلها - ويستدل من الآثار التى
عثر عليها على أن أهل مرمدة كانوا يربون الماشية والخنازير ويطحنون
الغلال على الرحى واستعملوا فخاراً أسود وقليل منه بنى أحمر - وفخار
مرمدة إما مصقول أو ناعم أو خشن وهو على شكل قدور كبيرة
للطبخ ، ومن الأوانى ماله بروزات لإمسكها بها أو تعليقها ولبعضها ثقب
ولبعضها قواعد ، ومنها ما يشبه القارب ومنها المغارف ذات المقابض
العريضة أو السمكة المستديرة وهذا الفخار خلو من النقوش والرسوم
وبعضها تحليه خطوط بارزة أو عدد من البروزات عند
الحافة - وإلى جانب الأوانى الفخارية صنع أهل مرمدة أوانى حجرية
من البازلت .

وكانت رؤوس السهام لديهم مثلثة الشكل أو مقوسة القاعدة
وبعضها له سنخ ودبابيس قتالهم كمثرية الشكل (طراز البحر الأبيض)
أو شبه كرية - ويبدو أن أهل مرمدة عرفوا النسيج واتخذوا الملابس
لذ وجدت لديهم فلسكات مغازل ومسلات ولابر ، وكانوا يستعملون
فى الصيد نوعاً من الشص المصنوع من قرن الحيوان وهو أكثر
استواء من خطاطيف الفيوم - وقد تزينوا بجلى فى هيئة أساور
من العاج وخواتم وخرز حلقى أو اسطوانى من الأصداق وبلط
صغيرة تعلق على شكل تماثم واستعملوا صلابات من المرمر والبازلت
لصحن المساحيق (أنظر شكل ١٣) .

الحجرى الحديث ، وعصر ما قبل الأسرات على التوالى ولكن الفروق بينهما ليست كبيرة إلى درجة توحى بأن الفارق الزمنى بينهما لا يمكن أن يكون كبيراً - وإعادة النظر فى آثار الفيوم ودراسة الصناعات التى سادت فيها أصبح الاعتقاد سائداً بأنها لا تسبق حضارة نقادة الثانية كثيراً فى الزمن ^(١) وعلى ذلك يمكن أن ندخل حضارتى الفيوم ضمن عصر ما قبل الأسرات ولهذا سنكتفى بدراستهما بفترتيهما كوحدة قائمة بذاتها وخاصة لأنها تأثرت بكل من حضارات مصر العليا والسفلى وإن كان تأثرهما بحضارات الدلتا أكثر منه بحضارات الصعيد .

ولم يكشف فى منطقة الفيوم إلا عن منطقة السكن إذ لم يعثر على قبر واحد فيها ، وتدل الآثار المكتشفة على أن الفيوميين عرفوا الزراعة وإن كان جل اعتمادهم على الصيد أى أنهم كانوا فى ظروف تشبه ظروف الزراع البدائيين - وكانت لديهم مجموعتان من المطامير لحزن الحبوب بالقرب من المساكن وقطر معظمها من قدم إلى أربعة أقدام وعمقها من قدم إلى ثلاثة ومعظمها مكسو من الداخل بغشاء من قش القمح المصفور يكسو جوانب الحفرة وقاعها ، كما عثر على مناجل من الصوان ورحى لطحن الحبوب من أحجار مختلفة ويبدو أن تربية الحيوان لم تلعب دوراً كبيراً فى حياتهم .

وفى هذه المنطقة عثر على رؤس سهام مثثة ذات قاعدة مستقيمة أو مستديرة أو ذات سنخ (مثل سهام مرمده) ، كما وجدت سكاكين من الصوان وهى طويلة مقوسة من طرفها الأعلى وبعضها

محرز عند القاعدة - أما رؤوس دبابيس القتال فمنها المخروطى ومنها القرصى والبعض الآخر كرى الشكل تقريبا ولكن هذه الأخيرة صغيرة الحجم إلى درجة تدعو إلى الظن بأنها فلكات مغازل - ولم يعثر على شص من نوع شص مرمدة ولذا يحتمل أن الأسماك كانت تصاد بخطاف من العظام .

ونخار الفيوم كان يصنع باليد ، من صلصال خشن مخلوط بنسبة كبيرة من التبن ولذا كان من النادر إخراجها في شكل متناسق وهو إما أحمر مصقول أو أسود مصقول أو بني أملس أو خشن وهذا الأخير هو الشائع ولا يخرج نخار الفيوم عن كونه طواجن وقبور كبيرة للطبخ أو طواجن وأقداح صغيرة ذات قاعدة بارزة للخارج قليلا أو مفصصة ومنه كذلك ما هو في هيئة صحاف مستطيلة حوافها مرتفعة عند الأركان وبعض أواني الفخار منقوبة عند الحافة - ونخار الفيوم جميعه خال من الرسوم أو النقش أى أنه يخلو من علامة الصانع أو المالك وقد تميزت آنية واحدة بيروقات قرب حافتها .

ولاشك في أن أهل الفيوم عرفوا صناعة السلال والنسيج حيث عثر في آثارهم على بعض سلال على شكل قارب أو على شكل برميل من حشائش مضفورة .

وعلى بعض أطباق مسطحة من الحشائش المضفورة - كذلك وجدت قطعة من قماش الكتان داخل قدر من الفخار كما عثر على دبابيس ومخارز من العظام .

هؤلاء شعبة حامية فهم شعبة من المجموعة القفصية تخصصت في وادى النيل وهذا رأى أقرب إلى الصواب .

عصر ما قبل الأسرات

إذا ما تجاوزنا عما أشرنا إليه من رأى يدخل كل الحضارات التى تلت الحضارات السيلية إلى قيام الأسرة الأولى - فى عصر ما قبل الأسرات لوجدنا أن غالبية الأثريين تقصر هذا العصر على الفترة التى تسبق قيام الأسرات مباشرة وتلى ما أطلقوا عليه اسم العصر الحجري الحديث ^(١) وقد قسموا هذه الفترة إلى حضارات هى على الترتيب : العمرة وجرزة وسمانية فى الصعيد ، وحلوان ب والمعادى فى الوجه البحرى والفيوم ب - التى سبق أن تناولناها مع الفيوم كوحدة قائمة بذاتها وإن كنا قد ألحقناها بحضارات الوجه البحرى فى العصر الحجري الحديث - وما يبرر وجهة نظر هؤلاء الأثريين أن مصر كانت فى العصور الحجرية فى مستوى حضارى يكاد يعادل المستوى الحضارى الذى كانت عليه أ كثرية بلدان العالم ولكنها أخذت تتفوق بعد ذلك مما مهد لقيام الحضارات العظيمة فى عهود الأسرات ولذا كان ينبغى أن نوضع مصر فى الفترة السابقة لعهد الأسرات فى مرحلة حضارية خاصة يطلق عليها « عصر ما قبل الأسرات »

(١) أنظر أعلاه ص ٢٨

وفي هذه الفترة ترقى صناعة الفخار وتناصل المعتقدات الدينية ويكثر استعمال المعادن وتظهر الرسوم التي تتطور حتى تصبح الكتابة فيما بعد، وفي هذا العصر أيضا قامت الحدود السياسية بين الدلتا والصعيد وسار كل من شطرى الوادى فى تياره الحضارى تبعاً لاختلاف ظروف البيئة وحاول كل من الشطرين الاستيلاء على الآخر إلى أن تم الاتحاد النهائى على يد مينا مؤسس الأسرة الأولى .

التوقيت المتتابع أو التاريخ المتتابع :

وجد بترى وكويل - فيما بين بلاص ونقادة - منطقة غنية بالآثار التى ترجع إلى الفترة السابقة للأسرات فأطلق عليها بترى لاسم حضارة نقادة ، ولما شاهد أن هذه الآثار تختلف فيما بينها بحيث يبدو أنها لا تنتمى إلى فترة قصيرة محدودة رتب الاوانى الفخارية والآثار التى عثر عليها حسب تدرج التطور فى صناعة الفخار وبذلك أمكنه ترتيب الآثار على حسب ظهورها محاولاً إيجاد علاقة تاريخية بينها فقسم الاوانى الفخارية إلى أنواع يمثل كل منها مرحلة حضارية خاصة عاشت فى مرحلة زمنية ورمز لعصر ما قبل الأسرات بأرقام تشمل الأعداد من ١ إلى ١٠٠ وبدأ أقدام انواع الفخار والآثار التى اكتشفها معه بالرقم ٣٠ تاركاً من ١ إلى ٣٠ خالياً لما عساه يجد من الاكتشافات ، كما ترك أيضاً الأعداد من ٨٠ إلى ١٠٠ لنفس الغرض - وقد أعد بترى بطاقة خاصة لكل مقبرة وقسم كل بطاقة إلى تسعة أنهر خصص كلا منها لنوع معين من الفخار

الذى وجدته وهو على تسعة أنواع :

- (١) ذو شفة سوداء (٢) أحمر مصقول (٣) ذو أشكال خيالية
- (٤) محلى بخطوط متقاطعة (٥) أسود محلى برسوم محفورة
- (٦) ذو مقابض متموجة (٧) مزخرف باللون Decorated
- (٨) خشن (٩) متأخر .

وحيثما أدرج الآثار التى اكتشفها مع الفخار المصاحب فى الأقسام الخاصة بها أمكنه أن يقسم تلك الآثار (مستعينا بالفخار) إلى ثلاثة أقسام تمثل كل منها مرتبة حضارية تبدأ الأولى بالرقم ٣٠ وتنتهى بالمرحلة ٣٧ والثانية من ٣٨ إلى ٦٠ والثالثة من ٦١ إلى ٧٥ +

وقد كشف الأثريون عن ثلاثة حصارات بالصعيد تماثل آثارها تلك التى وجدها بترى أى أنها تنفق والأقسام التى اختارها فالأولى وهى حضارة العمرة تمثل المرحلة من ٣٠ إلى ٣٧ والثانية وهى جرزة تمثل المرحلة من ٢٨ إلى ٦٠ أما الثالثة وهى سمينه - فتتمثل المرحلة من ٦١ إلى ٧٥ +

وقد أطلق على هذه السلسلة اسم تاريخ بترى التتابعى ، ويجب أن لا يفهم منه أن الأرقام أو الفترات التى اتبعها بترى تدل على تاريخ محدد أو أن المدة بين فترة وأخرى تعادل فى الزمن المدة بين فترتين أخرتين كما لا يدل الرقم الواحد على قدر ثابت من السنين وكل

ما في الأمر أن هذا التقسيم يسمح بترتيب كل من هذه الحضارات بالنسبة لبعضها البعض وكان يرى في أول الأمر قد قسم الآثار المكتشفة في نقادة إلى عهدين أطلق عليهما اسم حضارة / ١ ، حضارة / ٢ ولكن Scharff أطلق عليهما نقادة / ١ ونقادة / ٢ ثم رأى يرى أن الحضارة الثانية تمثل عهدين مختلفين متميزين أي أن حضارة نقادة تمثل في مجموعها ثلاثة حضارات ميزها Petrie فيما بعد بأسماء الحضارات المشابهة لها أي العمرة وجرزة وسماينة لحضارة العمرة تمثل حضارة نقادة / ١ أي الفترة الأولى من حضارة نقادة وتمثل حضارتي جرزة وسماينة حضارتي نقادة / ٢ أي أن الفترة الثانية من حضارة نقادة بدورها تنقسم إلى عهدين . حضارة نقادة / ٢ ، حضارة نقادة / ٣ وبهما تقابلان جرزة وسماينة على الترتيب .

حضارات الصعيد

حضارة العمر ٣٠ - ٢٧

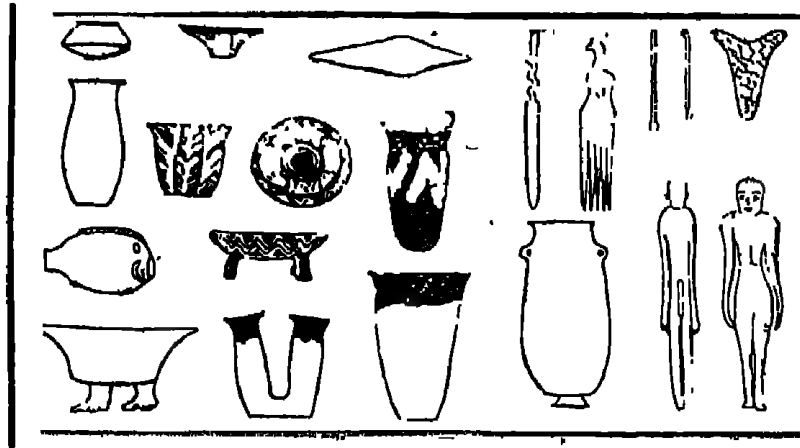
تقع العمرة جنوب شرق أيدوس وقد عثر فيها على آثار تشبه أقدم ما وجد في نقادة إلا أن هذه الحضارة تمثل عهدين مختلفين . أوائل العمرة ٣٠ - ٣٤ وأواخر العمرة ٣٤ - ٣٧ وإن كان البعض يميل إلى أن مقابر الفترة ٣٠ تؤلف وحدة قائمة بذاتها إذ أنها حفر غير عميقة بها اثناء واحد من الفخار الأحمر ذو الشفة السوداء وفي

احوال نادرة كانت توجد إلى جوار الميت صلابة من الاردواز معينة الشكل كما عثر على دهبوس من النحاس في إحدى المقابر .

وقد ظهر الفخسار الأحمر المصقول المحلى برسوم باللون الأبيض أو الأصفر في الفترة ٣١ - ٣٤ وهذه الرسوم عبارة عن أشكال تحددها خطوط مستقيمة وتملؤها خطوط متقاطعة ، وتمثل في مجموعها أشكالاً هندسية مختلفة كالمثلث والمعين والنجوم أو تمثل أشكالاً مختلفة من النباتات والحيوان ومناظر الصيد والقتال رسمت باختصار وفي أسلوب بسيط ، وإلى جانب هذا النوع من الفخار عثر على فخار أحمر مصقول أو أحمر مصقول ذو شفة سوداء خلت سطوحه الخارجية من التموجات التي تميز فخار البداري - كذلك بدأت علامة الصانع أو علامة الملكية تميز أواني هذه الفترة في صورة حيوانات أو نباتات أو خطوط وقد وجدت بعض الأواني الحجرية من البازلت والحجر الجيري وكانت الصلايات من الاردواز على شكل معين أو تمثل حيوانات مختلفة كفرس النهر والسلحفاة وكانت رؤوس الدبابيس منحروطة الشكل مقوسة قليلاً إلى الداخل .

أما في الفترة الثانية من هذه الحضارة ٣٤ - ٣٧ فقد اختفى الفخار المحلى برسوم باللون الأبيض واستمر الأحمر المصقول والأحمر المصقول ذو الشفة السوداء كما عثر على أواني محلاة برسوم باللون الأحمر تشبه فخار جرزة ابتداء من الرقم ٣٦ ، ومن بين العلامات المميزة لفخار تلك الفترة علامة تمثل تاج الوجه البحري وعلامة تمثل صورة حورس

على واجهة القصر (الخانة التى يكتب فيها اسم الملك) ومن هذا يتضح أن علامات الملك أخذت تستقر - وقد تطورت صناعة الأواني الحجرية التى من البازلت كثيرا كما أصبحت أشكال الصلايات أقل تعددا إذ انحصرت تلك الأشكال فى الشكل المعين الذى ينتهى عند أحد طرفيه بما يشبه الهلال أو شكل السمكة ومن الصلايات أيضا ما كانت تنتهى فى أعلاها برأس طائرتين - أما دبابيس القتال فكانت تشبه نظائرها فى الفترة الأولى لهذه الحضارة - وقد أتقنت صناعة الفطران ومن الأدوات المصنوعة منه وجدت سكاكين طويلة ذات حدين وسهام ذات شوكتين (شكل ١٥) .



(شكل ١٥) أدوات وأواني من العمرة

ولم يكشف حتى الآن عن حضارة من هذا العهد فى الدلتا ، وقد اعتقد أهل هذه الحضارة فى الحياة بعد الموت بدليل ما عثر عليه من أدوات وضعت إلى جوار الموتى .

حضارة جرزة ٣٨ - ٦٠ (نقادة ٢ « ١ »)

تقع جرزة شمال ميدوم وآثارها تمثل حضارة مستقلة تماما عن حضارة العمرة إذ وجدت (في همامية قرب البدارى) آثار عهدها في طبقات منفصلة تماما عن الطبقات التي وجدت بها آثار حضارة العمرة وهي أوسع منها انتشارا في مصر الوسطى ، وقد قسمها بترى إلى قسمين :

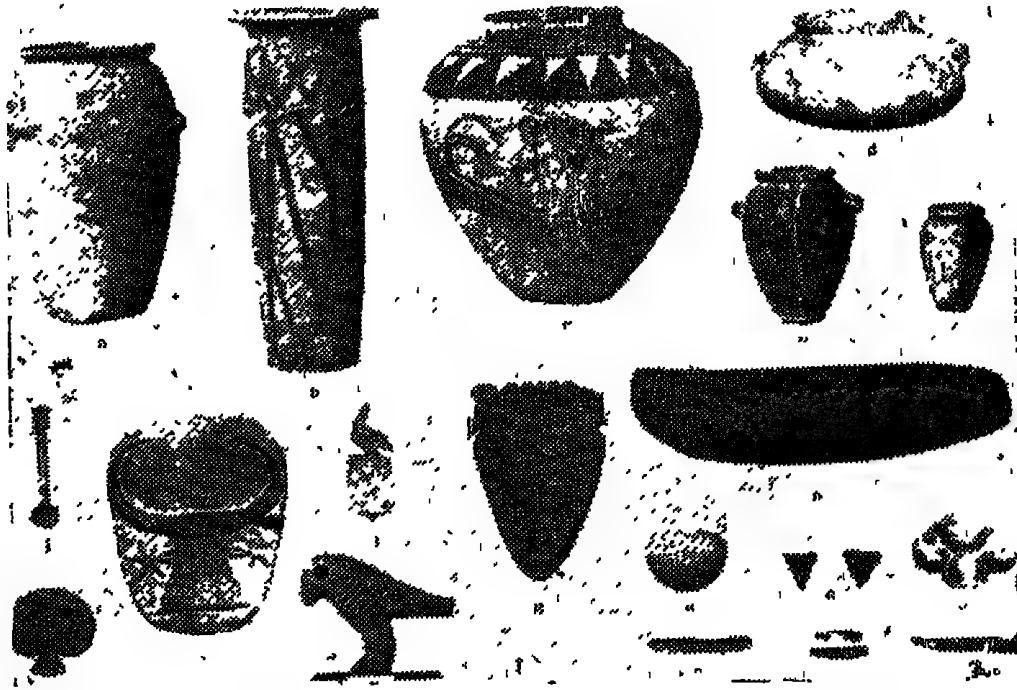
الأول بداية عهد جرزة من ٣٨ - ٤٤ ، الثانى أواخر جرزة من ٤٥ - ٦٠ واهم أنواع الفخار التي تميز هذه الحضارة هو ذلك الفخار المحلى بالرسوم الحمراء وهو غير مصقول وذو لون برتقالى أصفر ، عليه رسوم وأشكال باللون الأحمر ، وتتميز رسومه عن الفخار المرسوم باللون الأبيض (عهد العمرة) بكونها من خطوط منحنية أهمها الخط الحزوني وبكونها بأكملها ملونة باللون الأحمر ولا تملأ أشكالها خطوط متقاطعة كالفخار المرسوم باللون الأبيض كما أخذت صور المراكب والحيوانات المنفردة تظهر فيه - وتتميز هذه الحضارة كذلك بالفخار ذو الأيدى المتموجة وكل من هذين النوعين من الفخار على صلة بالآخر إذ قد يحلى ذو الأيدى المتموجة برسوم حمراء - هذا وقد استمر الفخار الأحمر المصقول وذو الشفة السوداء (وهما من فخار العمرة) في هذه الحضارة أيضا - وكان جل اعتماد بترى في ترتيب أنواع الفخار في نقادة على الفخار ذو الأيدى المتموجة ،

هو والفخار المحلى برسوم حمراء كلاهما من طينة أكثر صلابة من طينة فخار الأنواع السابقة وقد ظهرت صور المراكب على الفخار المحلى برسوم حمراء منذ الفترة ٤٥ - ومنذ الفترة ٤٦ ظهرت صور المثلثات المتتالية (وهى إما أن تمثل مرتفعات أو أنها مجرد حلية) وبعد الفترة ٦٠ أخذت هذه الرسوم تقل إلى أن اختفت حوالى فترة ٦٣، وكان لمعظم الأواني مقابض متموجة أو عراوى (آذان) لتعليقها وفى بدء هذه الحضارة بدأ ظهور الفخار المتأخر ويمتاز بصلابته وملاسته وهو رمادى فاتح أو بنى أحمر أو أصفر يخلو من أية حلية إلا أنه لم ينتشر تماما إلا فى أواخر عهد ما قبل الأسرات وفى الأسرتين ١ ، ٢ .

وقد امتازت هذه الحضارة بكثرة الأواني الحجرية المختلفة ذات الألوان الجميلة وكانت بعض أواني الفخار تصنع على غرارها وقد أخذ دهبوس القتال الذى كان شائعا فى العمرة (ذو الرأس المخروطى المضغوطة الجوانب) يقل تدريجيا ابتداء من عهد جرزة حيث أخذ الدهبوس ذو الرأس السكمرى يحل محله - ومع هذا فقد بطل استعمال هذين النوعين من الدبابيس فى القتال فى الأسرة الأولى وإن ظلا يستعملان فى العصور التاريخية لأغراض دينية وجنائزية .

كذلك أخذت الصلايات التى على شكل معين فى الاختفاء وتأخذ مكانها صلايات ذات أشكال هندسية أخرى كالمستطيل والبيضاوى والمربع واستمرت بعض الصلايات فى شكل بعض الحيوانات كالفيصل

والسمك والطيور وبعض الصلايات البيضاء كانت تعلوها طائر
أيضا - وقد أخذت الصلايات تدق في سمكها وكسيت سطوحها
بالنقوش وصنع بعضها من مواد لا تصلح للصحن منذ أواخر ما قبل
الأسرات حتى يمكن القول بأنها أصبحت شيئا رمزيا يوضع في المقبرة
فهي تذكر بتقليد قديم متوارث - هذا وقد ظهرت في عهد جرزة
بعض التماثيل على شكل حورس وبعضها على شكل رأس ثور وهي
رموز تدل على مقاطعات بالوجه البحري (شكل ١٦) مما دعا إلى



الظن بأن حضارة جرزة ترجع أصلا إلى الوجه البحري وإن لم يعثر
على حضارة تماثلها فيه كما يستدل من ذلك أيضا على حدوث توحيد
لشطرى الوادى قبل عهد مينا مؤسس الأسرة الأولى .

حضارة سماينة ٦٠-٧٥ + ٠ (نقادة « ب »

تمثل آخر الحضارات المصرية في عهد ما قبل الأسرات وأهم الآثار التي تمثلها وجدت في سماينة وهي إحدى قرى مركز دشنا وتقع قرب الأبعادية في مركز نجع حمادى .

وتتميز هذه الحضارة بزيادة استخدام النحاس وأخذ الفخار ذو الشفة السوداء والفخار الأحمر المصقول يقلان حتى اختفيا أما الفخار ذو الرسوم الحمراء فقد اختفت الأشكال التي كانت سائدة في عهد جرزة منذ الفترة ٦٣ وحلت محلها أشكال جديدة عليها رسوم مختلفة ومن هذه الأشكال أواني على شكل البرميل لها حافة داخلية يستقر عليها الغطاء ، وقدور عالية رسمت عليها خطوط قصيرة في أشكال ومجموعات مختلفة ، أما الأواني المتموجة الأيدي فقد أخذت تضيق في السعة ويتلاشى مقبضها حتى أصبح كشریط على حافة الاناء بالقرب من الشفة وأكثر فخار هذه الحضارة من النوع المتأخر وقد ظهر فيه المصب (البربوز) وله أحيانا رقبة واضحة وأهم ما صنع منه أواني التخزين (قدور عالية ذات فوهات واسعة) - ومع كل فان الفخار في عهد سماينة على اختلاف أنواعه كان أقل إتقاناً وجودة منه في العصور السابقة ومن المحتمل أن السبب في ذلك يرجع إلى أن الأغنياء أقبلوا على صناعة الأواني من النحاس والأحجار وإلى أن استقرار الحياة في المدن واتساعها وانتشارها قد جعل الصانع يتوخى

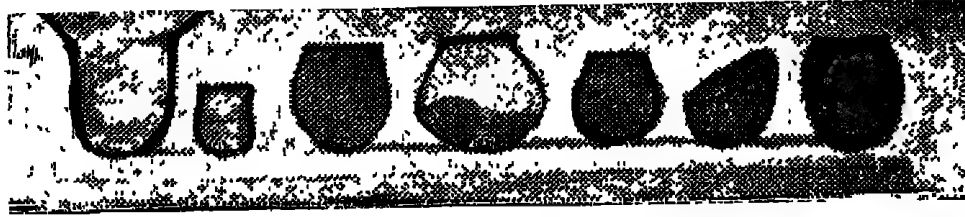
سرعة الإنتاج وكثرته فبعد عن الاتقان ، واستمرت صناعة الاواني من الاحجار وكثيرا استخدام المرمر Alabaster في صنعها حيث انقشر استخدامه في العصور التاريخية . أما الصلايات فنما ما كان على شكل الحيوان ومنها ما كان يحلى جزءه العلوى رأسا طائرین ومنها ما كان يهضى الشكل تحلى حافته خطوط متقاطعة ومنها ما كان على شكل مستطیل تحلى حوافه خطوط مستقيمة أو متقاطعة وبهض هذه الصلايات كان فاخرا تحليه نقوش مختلفة .

حضارات الوجه البحرى فى عهد ما قبل الأسرات

حضارة حلوان « ب »

تضم منطقة العمرى مجموعتين من المقابر ومجموعة من المساكن وهى على بعد ٣ كم شمال شرق حلوان - وقد بدأ الحفر فيها بوفيه لا يير بمنطقة المقابر فلما حفر دى بونو فيها ركز جهوده فى منطقة المساكن سنة ١٩٤٥ ، وقد دلت حفائره على أن مساحة القرية كانت كبيرة مثل مدن الدلتا التى عثر عليها فى مرمدة والمعادى بعكس مدن الصعيد المحدودة المساحة وكانت مساكنها إما أن تبنى بحيث يكون جزء منها تحت مستوى سطح الأرض وكل منها يهضأوى الشكل تحيطه جدران من الحصىر المغطى بالطين . أو أن تقوم بأكلها فوق سطح الأرض كما يستدل على ذلك من وجود بقايا أعمدة خشبية مغروسة فوق سطح الأرض - وربما كان النوع الاول من المساكن يستخدم كخازن أما النوع

الثاني فكان للسكنى ، وقد حفرت بعض مساكن النشوع الاول في الارض الصخرية بما دعا إلى الظن بأن أهل حلوان عرفوا استغلال المحاجر في ذلك الوقت إلا أن هذا بعيد الاحتمال . وكانت الاواني الفخارية إما رقيقة الجدران مصقولة حمراء وسوداء وسمراء أو خشنة ذات جدران سميكة وكان لبعضها مقابض ومنها ما يشبه أواني مرمدة ومنها ما يشبه أواني المعادى كما وجدت أشكال جديدة اختصت بها هذه الحضارة (شكل ١٧) .



شكل ١٧ - أواني من حلوان ب

أما الاسهم التي عثر عليها في حلوان فانهما كانت إما مقعرة القاعدة كاسهم الفيوم أو على شكل مثلث متساوى الضلعين كذلك عثر في حلوان على بعض السكاكين والمناجل والمنشائير من الصوان وعلى أحجار للرحى وعلى أوعية من قشر بيض النعام وصولجان من الخشب كما عثر على آلات من العظام ومن بينها شص من قرن حيوان - وعثر على جلود وحصير وحبال وأسبنة مما يدل على معرفة النساجة - وقد استخدم أهل حلوان أصداق البحر وعظام السمك وأنواع من الأحجار البراقة في الحلى وعرفوا صناعة العقود والدلايات وزرعوا

الحبوب كالقمح والشعير وكانوا على علاقات مع الخارج حيث وجدت في آثارهم أصداف من البحر وبعض المواد الأخرى التى لا توجد في وادى النيل .

وقد دفن الموتى في أماكن السكنى في وضع مقرفص ومعظم رؤوسهم إلى الجنوب والوجه متجه إلى الغرب ، وفي أغلب الأحيان كانت توضع آنية فخارية بجانب الميت ، كما كانت الجثة تكفن بجلد حيوان أو حصير أو قماش وقد عثر على صولجان الخشب المشار إليه فيما سبق مع إحدى الجثث .

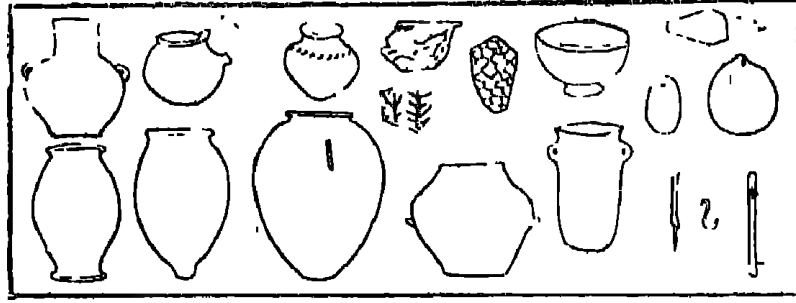
وربما كانت هذه الحضارة تتوسط في الزمن بين حضارتى مرمدة والمعادى إذ أنها تشبه حضارة مرمدة في الطقوس الجنائزية وفي بعض الأواني الفخارية وبعض الصناعة الحجرية كما تشبه حضارة المعادى في بعض الأواني الفخارية وفي النصال الصوانية .

حضارة المعادى

شرق المعادى الحالية وهى ذات موقع فريد إذ أنها تتوسط بين الصعيد والدلتا وتربطهما بشبه جزيرة سينا وغرب آسيا بما أثر في حضارتها وجعلها ذات صفات خاصة تميزها عن الحضارات السابقة وكان يظن أنها أقدم من حضارة نقادة الثانية ولكن ما زالت تحتاج إلى كثير من الدراسة وخاصة لأن الشك بدأ يساورنا في أنها ترجع إلى عصر بداية الأسرات^(١) .

Cambridge Ancient History (2nd.ed.) Vol.I, chapt. x (MSS). (١)

ونفخار المعادى (شكل ١٨) متعدد الأشكال والألوان إلا أن



شكل ١٨ - أدوات وأواني من المعادى

أهمه نوعان أحمر اللون غير مصقول ولكن له أملس قاعدته حلقيه وجسمه
بيضاوى مستطيل وأسود مصقول ذو جسم كرى - ومن بين الأواني
التي عثر عليها آنية كبيرة إسطوانية وبهافتها العليا مقابض عدة
كما وجدت بعض الأواني التي يميل لونها إلى البياض وبسطحها
بروزات كالخبوب أو مزودة بمقابض وهذه الأواني تشبه الأواني
السورية كذلك وجدت أيضا بعض الأواني التي تشبه أواني العمرة
(ذات حافة سوداء) وأواني (توأمية) تشبه أواني مرمدة أما
الأواني المزودة بالرسوم فقد أصبحت قليلة - ومن هذا نتبين صلة المعادى
بكل من حضارتى سوريا والصنعيد فضلا عن حضارة مرمدة ويرجع هذا
إلى مركزها الجغرافى حيث يسهل الاتصال بينها وبين تلك الجهات .

وقد عثر على مخبأ به سبع أواني من حجر البازلت الأسود
ولمناه من المرمر ولمناه عجيب الشكل من الحجر الجيري كسى من
الداخل والخارج بمادة حمراء وعلى خرز من العقيق - وفي أماكن أخرى

وجدت عدة أواني حجرية كبيرة وهى متقنة الصنع كما عثر على لوحات من الإردواز على شكل معين ولوحات من الحجر الجسىرى وبعض فلكات المغازل والدبايس والمصاحن وعلى الكثير من المكاشط ورؤوس السهام والحرايب والمناشير الصوانية وبعض الآلات من الصخر البلورى والكوارتز والجرانيت ، وبعض هذه المكاشط تشبه سكاكين نقادة وقد وجدت مجموعة من الأدوات الخشبية مثل عصى الرماية Boomerang وعصا قصيرة وبعض المثاقب والأطباق والأجفان والملاعق من الخشب التى يندر وجود مثلها فى الحضارات المصرية المعاصرة كذلك وجدت آلات كثيرة من العظام وخاصة المثاقب أما فيما يختص بأدوات الزينة فإن أهل المعادى عرفوا صناعة الخرز من الأحجار المختلفة ، وقد عثر على عقد كامل من ٤٥ حبة من الخرز كلها بيضاء ما عدا ٨ منها سوداء كما وجدت أصداف مثقوبة وأمشاط من عظام الحيوان ومواد التلوين من المغرة والملاخيت والمنجنيز الأسود .

وعرف أهل المعادى استغلال المعادن حيث عثر على عدد من الأدوات المعدنية كسنانير من النحاس ومثاقب وأزاميل ورأسى فأس من النحاس أيضا، كما عثر على سبائك منه وبعض مقادير من المنجنيز ومن القار (جلب من منطقة البحر الميت) وأخذت النزعة الفنية ترتقى كما يستدل على ذلك من وجود قطعة من الصلصال

المحروق يظن أنها تمثل رأس جمل (١) . وقطعة أخرى تمثل رأس حيوان غير واضح وعثر على بيضة نعام لإزدان سطحها بأشكال هندسية مجفورة باتقان وملونة باللون الاسود وكذلك عثر على رأس تمثال صغير من الفخار الأحمر يمثل شخصا من غرب آسيا كما يتضح ذلك من شكل الرأس والذقن وكذلك هيكل قارب من الفخار .

أما مساكن المعادى فإنها تركزت حول وسط القرية وكانت متعددة الاشكال فمنها ما كان يبنى من قوائم من جذوع أشجار تلاف حولها أغصان رفيعة ثم تغطي بالطين وأبوابها نحو الجنوب للحماية من الرياح الشمالية السائدة ومنها ما كان على شكل كلمة *pr* الهيروغليفية التي تعنى « منزل » مما يدل على أن رسم هذه الكلمة منقول عن الشكل الغالب فى مساكن عصر ما قبل الاسرات ، وقد وجدت عدة كهوف عثر فيها على آثار تدل على أنها كانت للسكنى وهى غالبا مستديرة وتعمق إلى ما يزيد عن ٢ ١/٢ متر ولها درج يؤدي إلى الداخل وبالكهف قدر كبير مثبت فى حفرة خاصة ، كما وجدت على امتداد الجدران من الداخل حفر صغيرة على أبعاد متساوية ربما كانت لتثبيت قوائم خشبية يقام عليها السقف أو يلف حولها حصير ليحول دون انهيار الرمال إلى الداخل - ويهمننا من هذه الكهوف كهف مستطيل ذو جدران رأسية كسيت من الداخل بقطع من الحجر الجيري فى بعض أجزائها وباللبن الكبير الحجم فى البعض الآخر فهو يمثل فن البناء فى

(١) يظن أن الجمل وجد فى مصر لفترة وجيزة قبل أوفى بداية عهد الاسرات ثم انقرض منها ولم يصبح استخدامه شائعا إلا لأسباب اقتصادية فى العهد اليونانى - أنظر : J. Capart " Primitive Art in Egypt " 1905, p.189, 202; H.Kees, "Ancient Egypt" Translated by Morrow (London 1961), p. 53.

هذا العهد السحيق ، وقد عثر فيه على عدد من الحفر التي كانت تثبت بها الأعمدة لحمل السقف. كما عثر على قدر كبير للخرين .

وكانت المواقد الصغيرة تقام داخل المنازل بينما تقام المواقد الكبيرة أمام المنازل ، وكان الموقد عبارة عن أحجار متراسة تحصر بينها الوقود أما المخازن فكانت على شكل حفر يتراوح عمقها بين متر ومترين وكان بعضها يزود بسياج يحيط بالحفرة وله سقف يقوم على قوائم من الخشب وإلى جانب هذه المخازن كان القوم يخزنون المؤن أحيانا في قدور كبيرة أو سلال .

وكان البالغون من أهل المعادى يدفنون في جبانته تقع في بقعة منخفضة إلى جنوب القرية أما الأجنة فكانت تدفن في قدور كبيرة أو حفر غير عميقة في المساكن نفسها - وكان الميت يدفن في حفرة بسيطة (يتراوح عمقها بين ٢٠ ، ٩٠ سم) ثم يمال عليه التراب - وكان يوضع مقرصا إلا في حالات قليلة وجدت فيها الهياكل ممددة ، ولم يسكن للرأس أو الوجه اتجاه ثابت كما لم يعثر على شيء مع الجثة سوى بقايا حصير أو جلد أو قماش كانت تغطي به الجثة ، وفي بعض المقابر عثر بجوار المتوفى على إناء واحد من الفخار وكان لكل عائلة قسم خاص من الجبانة ، كما عثر على حيوان شبيه بابل آوى مدفون بعناية وفي وضع مثني مما يوحي بعبادة هذا الحيوان الذي عبده فراعنة العصور التاريخية كإله حارس للجبانة - ويدل وجود آنية الفخار على اعتقادهم بالحياة الثانية كما يدل وجود الجبانة بعيدة عن المساكن على

أنهم كانوا في مرتبة حضارية أرقى من مرتبة أهل مرمدة وحلوان
الثانية .

ومن كل ماسبق يتبين لنا أن أهل هذه الحضارة عرفوا الزراعة
والرعى والنسيج وكانوا على علاقات تجارية وثقافية مع الحضارات
الشرقية والجنوبية ولاشك في أنهم وصلوا إلى مرتبة حضارية
لا بأس بها .

المميزات العامة للحضارة المصرية قبل قيام الأسرات

سبق أن أشرنا إلى أن الدراسات التي سبق القيام
بها عن الحضارات التي تلت عصر الحضارة السبيلية وتسبق قيام
الأسرات في مصر لم تعمل بدقة كافية وأن من الأفضل أن يطلق
على الأزمنة التي سادت فيها تلك الحضارات اسم « عصر ما قبل
الأسرات » أي أنه يتضمن حضارات العصر الحجري الحديث وعصر
بداية استعمال المعادن الذي عرفه أغلبية العلماء باسم ما قبل الأسرات
(حسب التقسيم الذي اتبعناه هنا) كذلك يرى البعض بأن الحضارة
التاسية من صميم حضارة البدارى وأن هذه الأخيرة هي أقدم
الحضارات التي تتلو الحضارة السبيلية كما يؤكد هؤلاء أن حضارة
الفيوم « أ » لا تسبق في زمنها كثيرا حضارة نقادة « ب » ، أو على
الأقل تعادل حضارة العمره (نقادة ' أ) فهي إذا أحدث من حضارة
البدارى ومع كل فإننا إذا ما أردنا أن نتبع أرجح الآراء يمكن أن

نرتب هذه الحضارات تاريخيا وفق الجدول الآتي :

التاريخ	لوجه البحرى والفيوم	الوجه القبلى
حوالى سنة ٣٠٠٠ + ١٥٠٠ قدم	قيام الاسرة الفرعونية الاولى المعادى حلوان ، ب	سمائنه (نقادة ٢ ب)
حوالى سنة ٤٠٠٠ ق . م	الفيوم (ب) مرمده بنى سلامة الفيوم (ا)	جرزة (نقادة ١٢) العمرة (نقادة ١)
حوالى ٥٠٠٠ سنة ق . م	حلوان (ا) ؟ (العمرى)	تاسا والبدارى

ويمكننا أن نلخص أهم ما يميز تلك الحضارات فيما يلى :-

(١) لم يعثر فى منطقة الفيوم على مقابر وإنما عثر على أماكن السكن والمواقد ومخازن الحبوب وبعض هذه المخازن كبير الحجم إلى درجة أن من الممكن اعتبارها مخازن جماعية ، ما يدل تنظيم اجتماعى تعاونى .

(٢) كان الدفن بين المساكن فى مرمده بنى سلامة وحلوان «ب» أما فى بقية الحضارات فقد وجدت فيها جبانات خاصة ،

وتختلف البدارى عن غيرها فى أن جباقتها (بحكم موقعها) تقع إلى شرق المدينة وكانت المقابر، عبارة عن حفر مستديرة أو يضاوية ولكن ابتداء من عهد نقادة الثانية كانت جدران هذه الحفر مستقيمة إلا أن أركانها كانت تميل إلى الاستدارة . وكان الميت يدفن على جانبه فى وضع مقرفص بحيث تثنى الركبتين إلى البطن والذراعين أمام الوجه (أى فى وضع يشبه الجنين) ويحميه من التراب حصير يلف به أو يكفن فى جلد، ويحاط أحيانا بغطاء خشبي من الأغصان - وفى المعادى كانت الأجنة تدفن داخل المساكن فى حفر غير عميقة أو فى قدور كبيرة .

(٣) كانت مدن الدلتا كبيرة تنتشر مساكنها فى مساحات واسعة أما مدن الصعيد فكان يحددها ضيق الوادى .

ومساكن الدلتا تختلف فى طرزها باختلاف المدن : ففي العمرى كانت دائرية على الأرجح ، وفى مرمره كانت إما يضاوية مبنية بالطين يرتفع جدارها نحو متر واحد ولم يكن لها سقف فى الغالب أو مستديره تقام على أعمدة ، وتختلف مساكن حلوان الثانية فنما ما كان يقام بحيث يكون جزء منه تحت مستوى سطح الأرض وهو بشكل يضاوى تقوم حوله جدران من الحصير المغطى بالطين ومنها ما كان يقسم بأكمله فوق سطح الأرض والمعتقد أن النوع الذى كان به جزء تحت سطح الأرض لم يكن مساكن وإنما كان يستعمل كخازن ، أما مساكن المعادى فقد تعددت أشكالها ولم يقتصر على

تلك التى أقامها الإنسان بنفسه بل استعملت بعض الكهوف كمساكن أيضاً .

ومساكن الصعيد لا يعرف عنها الكثير إذ لم يعثر على آثار للمساكن فى البدارى ولا توجد إلا آثار ضئيلة لمساكن نقادة الثانية أما فى نقادة الأولى فقد وجد ما يشير إلى وجود دروات من مواد خفيفة للحماية من الرياح وإلى وجود أسوار شبه دائرية من الطين يحتمل أنه كانت بداخلها مباني ثابتة من الطين وربما كانت هذه الأسوار بها فيها مساكن أو مخازن ومن المرجح أن هذه المساكن ظلت شائعة فى عهد نقادة الثانية ، وإلى جانب هذه وجدت مساكن أخرى بسيطة وكانت إما دائرية من الطين أو مستطيلة صغيرة من اللبن .

(٤) عرفت هذه الحضارات الزراعة وخاصة زراعة الحبوب (Triticum dicoccum) ووجدت بها المخازن والمطامير واستخدمت الرحى وعرفت صناعة السلال والنسيج وصنعت الأواني الفخارية والحجرية واستخدمت الحلى بكثرة .

(٥) أعتقد أهل هذه الحضارات فى البحث بدليل دفن بعض الأثاث الجنزى معهم ، ولم يكن أثاثهم الجنزى هذا يتجاوز بعض الأواني الفخارية وأدوات الزينة والصيد ، كذلك قدسوا بعض الحيوانات إذ وجدت هذه مدفونة بعناية فى مقابر خاصة - كما عرفوا السحر فى أغلب الظن - لأن بعض التماثيل وجدت ضمن آثارهم .

(٦) عرفوا استخدام النحاس منذ عهد البدارى ولكن لم يستخدم إلا نادراً .

(٧) كان الفخار فى عهد البدارى أحسن أنواع الفخار فى مصر القديمة وقد أمتاز برقته المتناهية مع أنه كان يصنع باليد ولم يكن دولاب الفخار قد عرف بعد وقد ظهر فى الرسوم المنقوشة على فخار نقادة الثانية ما يوحى بوجود اتصال بينها وبين حضارة سومر بما دعا للظن بأن الحضارة المصرية تأثرت بتلك الحضارة .

(٨) لم تكن صناعة الصوان جيدة فى البدارى ولكنها كانت ممتازة فى حضارات نقادة الاولى والثانية وكان العاج يستخدم بإتقان بالغ .

(٩) بدأ الأفسان محاولاته فى صناعة التماثيل من عهد البدارى إذ وجدت فيها ثلاثة تماثيل صغيرة من مواد مختلفة (أحدها فخار والثانى عاج والثالث صلب) وبدأ الطابع المصرى فى فن النقش والتصوير يتخذ مظهره الذى عرف به منذ عهد نقادة الثانية كما مهد لظهور الكتابة .

(١٠) تدل الدلائل الأثرية بأن الدلتا تغلبت على الصعيد فى عهد حضارة جرزة وتمكنت من توحيد مصر ولكنها لم تلبث أن انقسمت إلى مملكتين ثم حدث توحيد آخر إلا أن الانفصال عاد من جديد - وبعد ذلك حدث توحيد ثالث قام به الوجه القبلى على يد مينا وهو الذى بدأ العصر التاريخى وكان أطول أمدا وأبقى من التوحيدين السابقين .

النوبة وشمال السودان

لم يدرس السودان من الناحية الأثرية دراسة وافية بعد ولا يعرف شيئا عن تاريخ المنطقة التي تلى خط عرض ١٠° شمالا - أما شمال ذلك فان الدراسات التي تمت حتى الآن تدل على أنه ارتبط في تاريخه بمصر ارتباطا وثيقا وذلك لتشابه ظروف البيئة بين جزئه المجاور لها حتى أن من الممكن اعتباره امتدادا لها وبذلك يصعب التمييز بينهما ، وكان لارتباطهما معا بنهر النيل أكبر الأثر في تشابه الخطوات الأولى التي سارها السكان في كل منهما في تيارهما الحضارى .

فحينما أخذ المناخ في الجفاف في شمال أفريقيا اتجه الانسان إلى المجارى المائية العظيمة وعاش بالقرب منها وهكذا نجد بعض مخلفات أقدم العصور في جهات متفرقة من حوض النيل وإن كانت بعيدة في المناطق الصحراوية المرتفعة والهضاب التي تحف بواديه .

ولا يعرف الوطن الأصيل لأقدم سكان وادى النيل ولا الطرق التي اتخذوها إليه ونظرا لقلة الأبحاث التي أجريت في السودان فإننا لا نعرف الكثير عن عصوره التي سبقت الكتابة ويمكن القول بصفة عامة أنها تتلخص فيما يلى :

العصر الحجري القديم الاسفل

تشبه آثاره ما وجد في مصر وفي بقية العالم القديم ويمكن تتبعها

في أماكن متفرقة من الوادى إلى وادى حلفا أما في جنوب ذلك فإن ما تم الكشف عنه حتى الآن لا يكفي لتكوين فكرة صحيحة عن هذا العصر في تلك الجهات ، ولكن - مع شيء من التجاوز واستنادا إلى الأبحاث الضئيلة التى تمت حديثا - يمكن أن نقرر بأن آثاره وجدت فيما بين عبرى وأم درمان وفي وادى العطبرة ولم يعثر على آثار له في وادى النهر فيما بين عبرى ووادى حلفا وإنما وجدت بعيدة عنه إلى الغرب ومن المحتمل أن النيل في تلك الجهة كان يجرى في منخفض يقع إلى غرب مجراه الحالى ^(١) . ولا يوجد ما يؤكد وجود العصر الحجري القديم المتوسط ولا العصر الحجري القديم الأعلى

العصر الحجري المتوسط

لم يعثر على آثار من هذا العصر بالسودان وإن كان من المرجح أن الحضارة القفصية التى انتشرت في شمال أفريقيا قد وجدت سبيلها إليه ، وقد تميزت هذه الحضارة في الأقاليم المختلفة بمظاهر خاصة وإن كانت الفوارق التى نشأت بينها كانت طفيفة إلى درجة أنها لا تبدو إلا بعد التعمق في الدراسة والبحث كما يتضح ذلك عند مقارنة الحضارة السبيلية في مصر بما يعرف عن الحضارة القفصية الأصيلة التى تفرعت منها ^(٢) .

(١) Arkell, " The Old Stone Age in the Anglo - Egyptian Sudan " (Sudan Antiquities Service occasional papers. I) , pp. 34, 43 - 4, 83 and Map .

(٢) أنظر أعلام ص ٢٦ .

العصر الحجري الحديث

عثر في الخرطوم على آثار يعتقد آركل أن بينها وبين البدارى بعض الصلات ، بل ويميل إلى أنها أقدم منها وأنها سلف لها - ولكن النتائج التى وصل إليها لا يمكن قبولها كلية فمع أنه أبرز التشابه بين بعض المظاهر فى حضارة الخرطوم وبين نظائرها فى حضارة البدارى إلا أن الحضارة فى كل منهما تختلف عنها فى الأخرى فى كثير من الوجوه ، فمثلا يبدو التشابه واضحا بين زخرفة فخار من الخرطوم وزخرفة فخار من البدارى ولكن كلا النوعين من الفخار يختلفان إذ أنه فى الحالة الأولى يتسدر أن يكون ذو حافة سوداء بينما هو فى الحالة الثانية من الفخار الأسود بأكمله كذلك وجدت من الخرطوم حراب مزدوجة من العظام ولم توجد أسلحة عظمية فى البدارى - هذا ويلاحظ أن صناعة الصوان فى الخرطوم تشبه نظائرها فى الحضارة القفصية ولكنها فى البدارى صناعة متأخرة .

ويرى آركل أن ما عثر عليه من آثار فى الشهاب^(١) يماثل آثار الفيوم ويرجع حضارة الشهاب إلى نفس الزمن الذى تؤرخ به حضارة الفيوم ، ولكنه بنى استنتاجه هذا على أساس غير سليم إذ أنه عند تقدير عمر الآثار العضوية التى عثر عليها فى كل من الفيوم والشهاب بواسطة كربون ١٤ احتسب أحدث تاريخ ممكن للفيوم بينما احتسب أقدم تاريخ للشهاب أى أنه على هذا الأساس يتغاضى عن

(١) أنظر أعلاه ص ٣٥ ملحوظة رقم (١)

فارق يقدر بنحو ٧٠٠ سنة تقريبا^(١) وليس لدينا حتى الآن ما يؤكد وجود آثار ترجع إلى العصر الحجري الحديث في السودان سوى في الخرطوم والشهناج ومع كل فقد أثبت Crawford^(٢) بما لا يدع مجالاً للشك أن بعض قطع الفخار التي عثر عليها في كل منهما تماثل بعض فخار جبل موياء الذي يؤرخ بحوالى سنة ١٠٠٠ ق. م .

نقادة الأولى : عرفنا أن هذه الحضارة تتركز بصفة عامة في منطقة نقادة نفسها وفي بعض الأماكن القريبة منها في مصر العليا ولا يعرف شيئا عن امتدادها خارج حدود مصر العليا إلا في جبانة منعزلة في النوبة السفلى عند خوربهان وربما كانت هذه تمثل نقطة أمامية لأهل هذه الحضارة - أما في شمال السودان فلم يعثر على ما يفيد امتداد هذه الحضارة إلى هناك حتى الآن .

نقادة الثانية : كانت هذه الحضارة في وادى النيل أوسع انتشارا من سابقتها حيث عثر على آثارها في مناطق متفرقة من ضفتى النهر في كل من مصر العليا والنوبة السفلى إلى سيالة جنوباً ثم تحتفى آثارها

(١) تقدر النتائج المعترف بها حتى الآن في تأريخ الآثار العضوية بالكربون ١٤ على أساس زيادة التأريخ الذى يقدره كربون ١٤ أو نقصه بمقدار ٣٥٠ سنة - أنظر مع ذلك

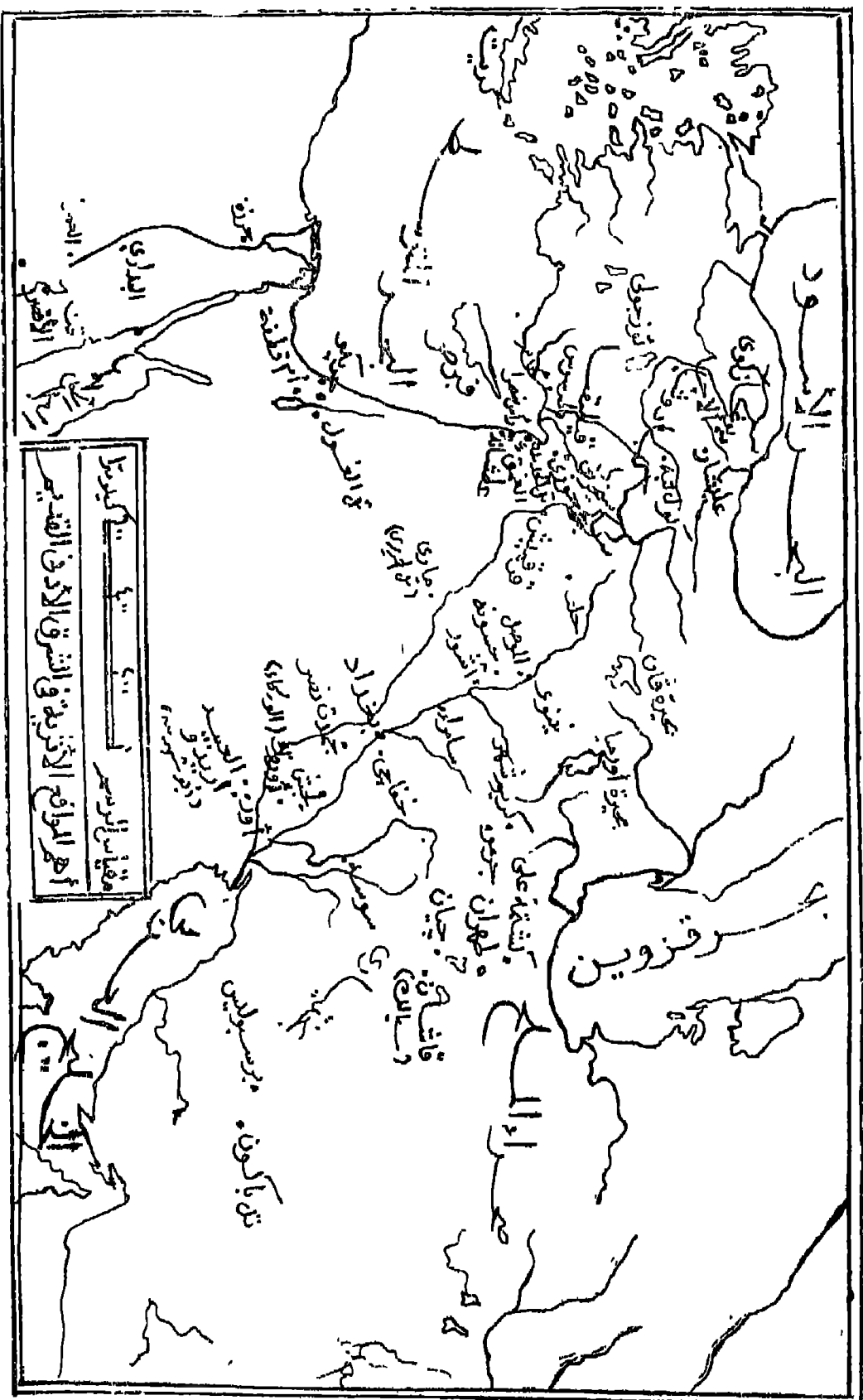
A. J. Arkall, " Shahoinab" , 102 ff & esp. 107 :

Kush II, 88 ff.

(٢)

إلى الجنوب من ذلك إلا من جبانة منعزلة في جى بالنوبة العليا^(٣) ورغم أنه لم يعثر حتى الآن على ما يدل على انتشار هذه الحضارة في شمال السودان إلا أنه يغلب على الظن أن هذا الاقليم كانت تسوده أثناءها حضارة عمالة مع احتمال وجود فوارق بسيطة حتمتها ظروف البيئة حيث أن الوادى في شمال السودان أضيق منه في مصر وقد نتج عن هذا أن ظل هذا الاقليم متخلفا في حضارته عن مصر - بل وامتدح يعيش في حضارات ما قبل الأسرات المصرية حتى بعد أن دخلت مصر في عصرها التاريخى .

(٣) تعرف الارض الواقعة في جنوب أسوان باسم بلاد النوبة وهي تنقسم إلى قسمين: الشمال وهو النوبة السفلى يمتد الى وادى حلفا جنوبا أى أنه من صميم الاراضى المصرية ، الجنوب وهو النوبة العليا ويمتد من وادى حلفا جنوبا الى خط عرض ١٨ ° (شمالا) تقريبا أى أنه يدخل في شمال السودان



العراق

يقع العراق في جنوب غربى آسيا ويحتل القسم الشمالى الشرقى من الوطن العربى - وهو يبدو لأول وهلة شبيها بمصر من حيث ظروفه الطبيعة إذ يعتمد سكانه فى صميم حياتهم على نهري دجلة والفرات وقد استرعى التشابه بين الفرات وبين النيل أنظار قدماء المصريين فأطلقوا عليه اسم النهر المنعكس أى الذى يسير على غير ما ألفوه فى النيل .

ولا يقتصر الفرق بين مصر والعراق على اتجاه الأنهار فحسب وإنما تبدو الاختلافات بينهما واضحة عند دراسة بقية الظروف الجغرافية فى كل منهما - فبمقارنة ما عرفناه من طبيعة مصر^(١) بما نجده فى العراق نجد أن هذا الأخير ينقسم إلى قسمين رئيسيين :

القسم الشمالى : وتغلب عليه الطبيعة الجبلية إذ تكثر به المرتفعات التى تتخللها وديان نهري دجلة والفرات وفروعهما ويفصله عن الجهات التى تقع أبعد من ذلك شمالا سلسلة جبال طوروس وهضبة أرمينيا .

والقسم الجنوبى : وهو حديث التكوين من الناحية الجيولوجية لأنه كان جزءا من الخليج العربى ثم غمرته الرواسب التى جاء بها نهرا دجلة والفرات من المناطق الجبلية فى الشمال .

ونظرا لوقوع العراق في طريق الهجرات البشرية التي حدثت في
أزمنة مختلفة من تاريخ الانسان فقد استقرت به عناصر مختلفة سامية
وغير سامية وإن كانت العناصر السامية قد سادت فيه في معظم أدواره
التاريخية إلا أن العناصر غير السامية كانت تتوغل فيه أحيانا وخاصة
من الشمال والجنوب الشرقي - وكان لهذه العوامل بالطبع أثرها في
تاريخ العراق وحضارته - وسنتناول فيما يلي حضاراته قبل
عصوره التاريخية .

العصر الحجري القديم

لم يعثر إلا على آثار ضئيلة جدا من حضارات العصر الحجري
القديم وهي تتمثل على الخصوص في هضبة كردستان إذ وجدت في
كهوف باليسكورا وكريم شهر وهما ترجعان إلى نهاية العصر الحجري
القديم وإن كان البعض يميل إلى تأريخ حضارة كريم شهر بأوائل
العصر الحجري الحديث .

العصر الحجري الحديث

تتمثل آثار هذا العصر في حضارات جرمو (في لواء كركوك)
وحسوة (في لواء الموصل) وسامراء (في لواء بغداد) .

حضارة جرمو : عثر في منطقة جرمو على حوالي ١٢ طبقة
حضارية ، وتتميز الآثار التي وجدت بالطبقات التي تنتمي إلى العصر

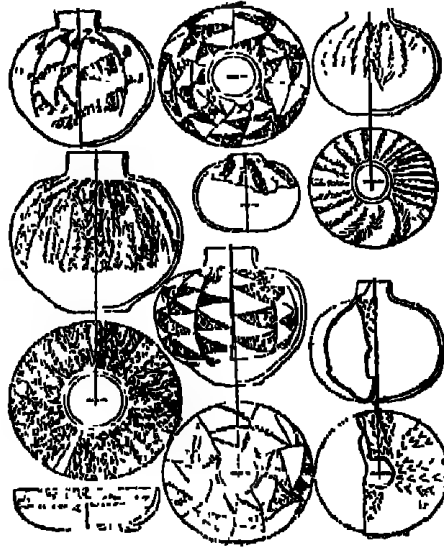
الحجرى الحديث فيها بأن بقاياها المعمارية تمثل منازل بسيطة تتألف جدرانها من الطين وهى مقامة على أساس من الحجر - وقد عثر فى هذه الطبقات على بعض التماثيل الصلصالية التى تمثل بعض الحيوانات وآلهة الامومة ، كذلك عثر فيها على مناجل فخارية وبقايا بعض الحبوب مما يوحى بتوصل أهل هذه الحضارة للزراعة ، كما وجدت لديهم بعض الأدوات والأواني الحجرية (شكل ١٩) - وتدل بقايا



(شكل ١٩ - أدوات وأواني من جرمو)

الحيوانات التى عثر عليها على أنهم استأنسوا الأغنام والماعز والبقر والخنازير وأنواع صغيرة من الخيول - ومن المحتمل أن تكون حضارة جرمو حضارة قائمة بذاتها حيث يظن أن بينها وبين كريم شهر فجوة حضارية كما أن بينها وبين حضارة حسونه فجوة حضارية أخرى ، وقد يرى البعض أن حضارة جرمو تعاصر حضارة الفيوم ولكن - نظرا لأن الفيوم يشك فى أنها تعد معاصرة لحضارة نقادة الأولى التى تعد من عصر بداية استعمال المعادن بينما ترجع حضارة جرمو إلى العصر الحجرى الحديث - فإن من العسير الأخذ بهذا رأى .

حضارة حسونة : يبدو أن حياة الاستقرار بالمعنى الصحيح أخذت تثبت دعائمها ابتداء من عصر هذه الحضارة التي ترجع إلى الألف السادس قبل الميلاد تقريبا ، ومع أن أهلها كانوا يعيشون في بداية الأمر في بيوت من الشعر^(١) إلا أنهم اتخذوا بيوتا بسيطة من الطين فيما بعد - وقد وصلوا إلى مرحلة لا بأس بها من التقدم والرقى إذ تتميز حضارتهم بنوع من الفخار المزين بالنقوش والأصباغ (شكل ٢٠) ، اقتصرت استعماله في المناطق الممتدة إلى البحر المتوسط .



شكل (٢٠) أواني من حسونة

ولم يستعمل أهل هذه الحضارة المعادن بل ظل الحجر مستخدما في صنع أدواتهم ، وتدل آثارهم على أنهم كانوا زراعا وأنهم استأنسوا الغنم والمساعز والخنازير - ولم يمكن التوصل حتى الآن إلى الجنس

(١) طه باقر « مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة » ج ١ (بغداد سنة ١٩٥٥) ص ٦٠

الذى كان مسئولاً عن هذه الحضارة رغم العثور على جثث أطفال دفنت في أواني فخارية كبيرة .

حضارة سامراء: ^(١) عثر في هذه الحضارة على أواني فخارية مزينة بنقوش هندسية وحيوانات وأشخاص ، وهي تؤرخ بأواخر الألف السادس قبل الميلاد وتدل الآثار التي وجدت بها على وجود علاقات بينها وبين أرمينيا وبلاد العرب حيث وجدت في صناعاتهم بعض المواد التي حصلوا عليها من هذه الجهات .

عصر بداية استخدام المعادن (٢)

حضارة حلف: ^(٣) يختلف المؤرخون في أصل هذه الحضارة التي تعد أول عهود ما قبل الأسرات في العراق وقد وجدت آثارها في جهات مختلفة تمتد غرباً إلى منطقة العمق في سوريا ، كما وجدت في الأربحية قرب الموصل .

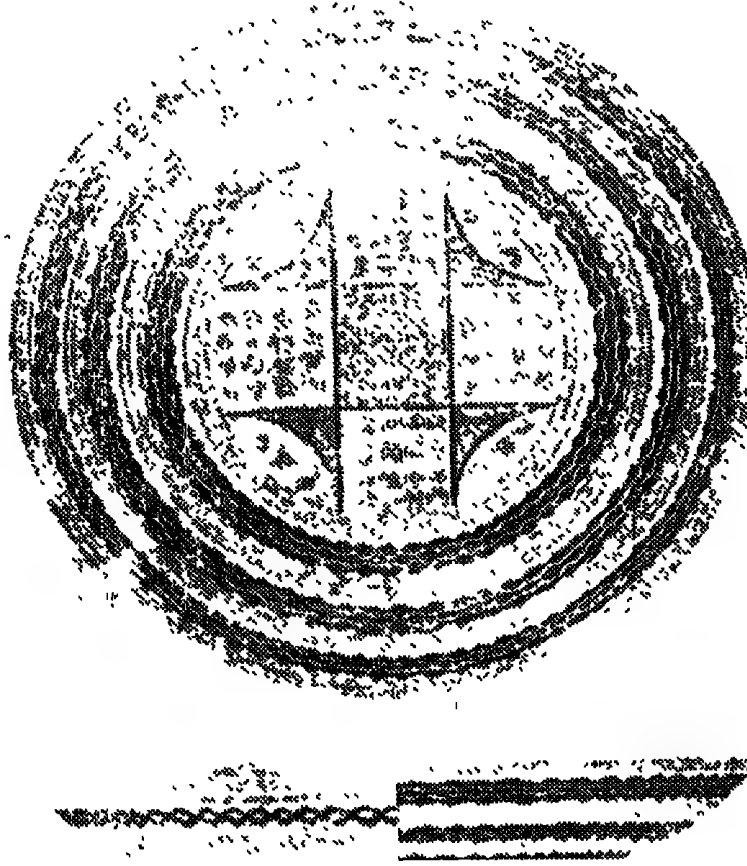
وتتميز هذه الحضارة بأواني فخارية مصقولة رقيقة الجدران ، كان الاناء الواحد منها يلون بألوان متعددة وكلها زاهية وجديدة

(1) E. Herzfeld " Die Ausgrabungen von Samarra " ,
V. Die Vorgeschichtlichen Topfereien. (Berlin-
1930) : André Parrot, Archéologie Mesopotami-
enne II (1953) .

(٢) أطلق على هذا العصر في العراق أيضاً اسم ما قبل الأسرات شأنه في ذلك شأن مصر -
أنظر أعلام ص ٤٧ وما بعدها

(3) André Parrot, op.cit., pp. 133 ff.

(شكل ٢١) ، وتعد الزخارف التي زينت بها هذه الأواني من أحسن ما خلفه الانسان القديم على الفخار - كما تتميز هذه الحضارة



شكل ٢١ لواء من الأريجية (دور حلف)

أيضا بيده استخدام النحاس وزيادة القرى عنها في العصر السابق ، وتدل الآثار التي اكتشفت في الأريجية على أن القرية كانت شوارعها مبلطة بالحجارة وأنها كانت محاطة بسور ووجدت بها بعض المباني العامة والمعابد مما يدل على تقدم الحياة الاجتماعية - وقد وجدت بين آثارها تماثيل صغيرة تمثل آلهة الأمم .

وليس من الغريب أن تنسب هذه الحضارة إلى حلف التي تقع في الاقليم السوري وتخرج عن نطاق العراق فقد وجدت آثارها في أماكن متفرقة من سوريا مثل رأس شمرة (أوجاريت القديمة) إلى جانب وجودها في بعض جهات العراق .

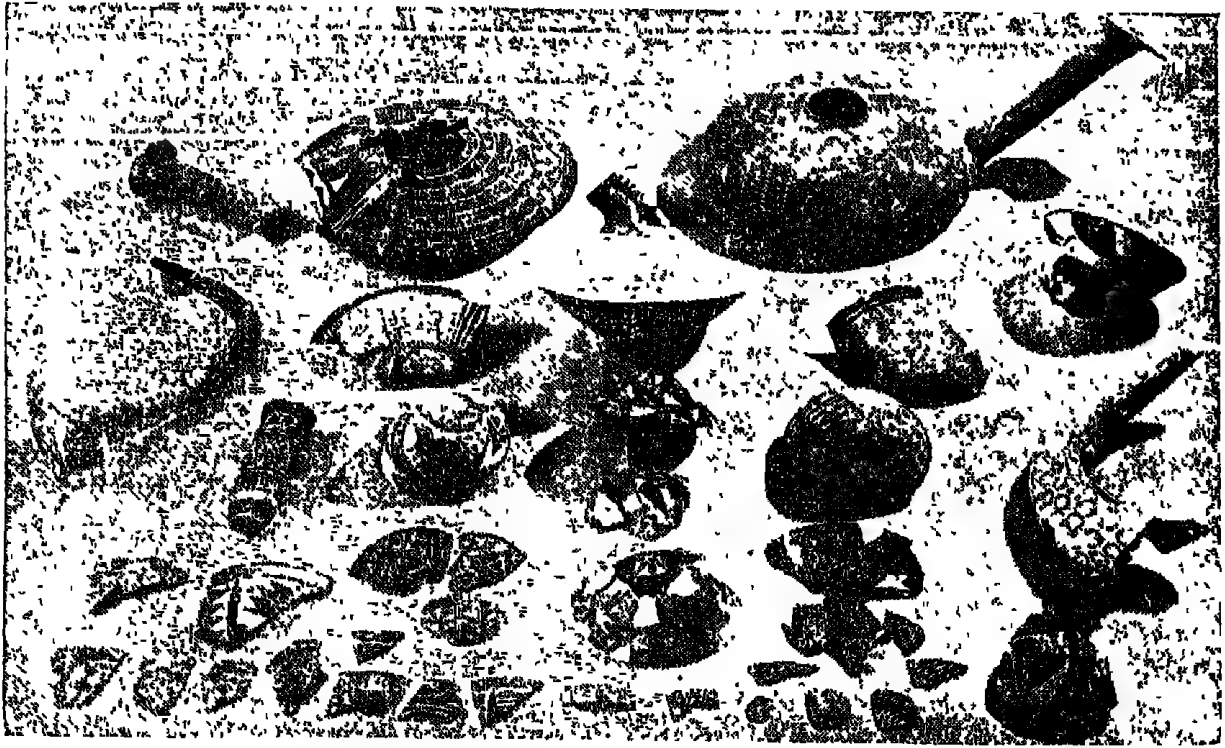
وكثيرا ما يقارن بين هذه الحضارة وبين حضارة البدارى لأن كلا منهما تطورت فيه صناعة الفخار تطورا كبيرا واستخدمت النحاس وصنعت تماثيل لآلهة الأمومة ولكن ما زالت البحوث العلمية في هذا الصدد بحاجة إلى المزيد من الجهود حتى يمكن تأكيد الروابط بينهما .

هذا ويلاحظ بأن كل الحضارات من أقدم العصور إلى عصر حضارة حلف ليست ممثلة في جنوب العراق مما يرجح أن هذا الاقليم لم يكن صالحا للسكنى حتى قيام هذه الحضارة .

حضارة العبيد : يبدو أن الاقليم الجنوبي من العراق أخذ يصلح للسكنى ابتداء من عصر هذه الحضارة وكان لاختلاف ظروف البيئة فيه عنها في الاقليم الشمالى ما يدعو إلى وجود بعض الاختلافات في مظاهر الحضارة التي سادت في هذا العصر بين الشمال والجنوب وهذا ما يذكرنا بما حدث من تخصص إقليمي في حضارات العصر الحجري الحديث في مصر ، ويدعونا هذا إلى التمييز بين حضارة العبيد الشمالية وحضارة العبيد الجنوبية فحضارة العبيد الشمالية تتميز

بالفخار الملون والتماثيل الطينية الصغيرة والأواني الحجرية والأدوات العظيمة كما عثر في أحد المناطق (تبة كورا) على مجموعة من المباني الهامة التي تمثل المعابد والمنازل استخدم الآجر في بعض أبنيتها ولم يستعمل الحجر في ذلك إلا نادرا وقد عثر على مقابر الأطفال في طبقات المنطقة بينما كان البالغون يدفنون في جبالقات على السطح عند أسفل التل وكانت المقابر أحيانا تغطى بالحصير

أما حضارة العبيد الجنوبية فتعتبر أقدم حضارة ظهرت في هذا الجزء حيث أن مخلفاتها تستقر على الأرض البكر ومن أهم مواقعها تل أبو شهرين (أريدو) وأور وقلعة الحاج محمد (قرب الوركاء) ومن أهم ما يميز هذه الحضارة الفخار الملون بلون يميل إلى الخضرة والحمرة أو اللون البنى والرسوم التي تزيينه ملونة بألوان مائية سوداء وهي تمثل أشكالا هندسية (شكل ٢٢) مما يذكرنا بحضارة نقادة الأولى في مصر وقد عثر كذلك على تماثيل طينية وأدوات وأواني حجرية وبعض المناجل التي على شكل الهلال - وتتمثل الآثار المعمارية في مجموعة من المعابد حيث نجد أن عمارة المباني ذات المداخل والمخارج التي على أبعاد منتظمة تأخذ في الظهور منذ هذا العصر وهو الطراز الذي يبدو بصورة واضحة في مقابر عهد الأسرتين الأولى والثانية في مصر - ويبدو أن حضارة العبيد على العموم قد جاءت من إيران إلى جنوب العراق ومنه انتشرت إلى الشمال ومنذ ذلك الحين أحرز جنوب العراق قصب السبق في ميدان الحضارة .



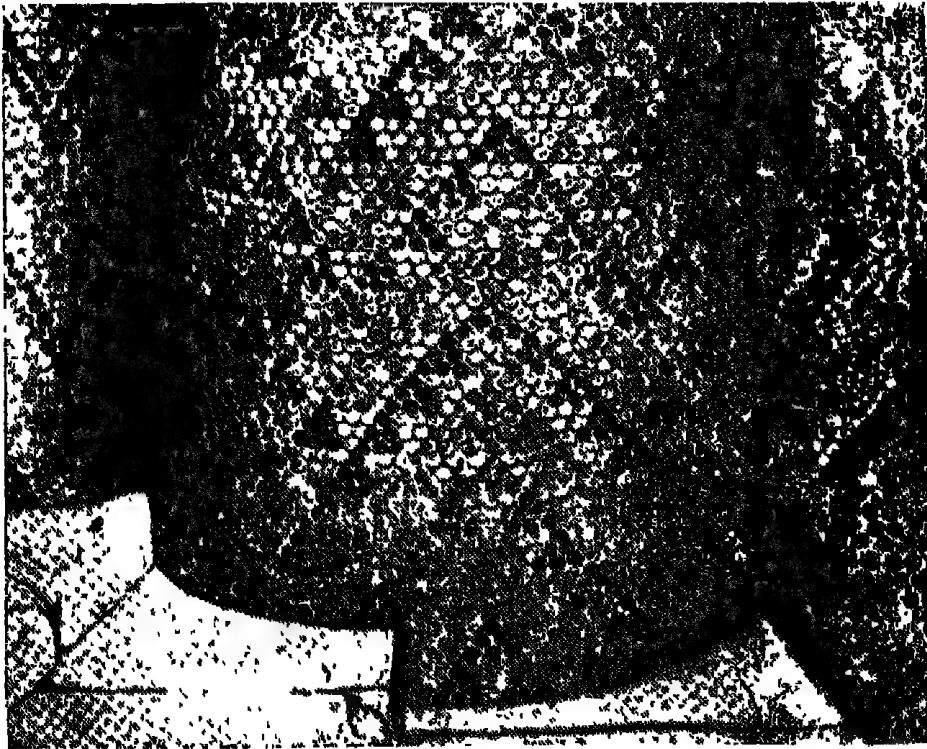
شكل ٢٢ - أواني فخارية من أريدو (حضارة العبيد)

حضارة الوركاء : تتمثل هذه الحضارة في بضعة مواقع لم يعثر فيها على مقابر إلا في موقعي أور وخفاجة حيث عثر على بضعة مقابر صغيرة - وقد عثر في الوركاء على برج مدرج من اللبن عرف باسم الزاقورات^(١) ومن حوله جملة معابد عرفت بمعابد إى - أنا (معابد الالهة عشتار) ، ومن المعابد التي عثر عليها من هذه الحضارة أيضا

(١) عن الرفورات أنظر :

معبد جميل شيد لعبادة الاله آنو (إله السماء) ومعبد آخر عرف
باسم المعبد الأبيض ومعبد ثالث لعبادة نن - كش - زيدا (الهة
أو سيدة الخشب) .

وتتميز هذه الحضارة بوجود أقدم أمثلة للنحت فى السطوح
المستوية ونحت كتل الأجسام (نحت التماثيل أو النحت المستدير) ،
هذا فضلا عما عثر عليه من آثار تدل على تطور فى الصناعة مثل
الأوانى الحجرية والأختام الاسطوانية وأدوات الزينة وتتمثل فى هذه
الحضارة كذلك أقدم المحاولات فى التوصل إلى الكتابة وهى كتابة
بدائية استعملت فيها الصور لتدل على معانى وكانت تكتب بقلم معدنى



شكل ٢٣ - أعمدة منقطة بالموزاييك المخروطى الشكل فى أوروك

ذو طرف مدبب على لوحة من الطمي قبل ان تجف - وامتازت هذه الحضارات أيضا بنوع من الفخار الأملس المصبوغ بالأحمر والبرتقالى كما أن المباني كانت تزخرف بقطع صغيرة من الفخار أو الحجر الملون وهذه القطع كانت مخروطية الشكل وتثبت في الجدران المبينة باللبن في صفوف بحيث تبدو كأنها فسيفساء (شكل ٢٣) .

حضارة جمدة نصر : آخر مرحلة سابقة للعصر التاريخى . وقد استطاع الانسان فيها أن يصل إلى مرحلة متقدمة فى الفن والكتابة حيث نجد أمثلة متفوقة فى العمارة ذات الفجوات المنتظمة - وتطورت صناعة الأواني الحجرية والفخارية وزخرفتها كما أن الرموز التى استعملت للتعبير بالكتابة تعددت وبسطت حتى أصبح من المبسور أن يعبر بها عن أغراض شتى أكثر من ذى قبل ، على أن أهم موضوعات الكتابة التى عثر عليها فى هذه المرحلة كانت تتصل بحسابات مختلفة منها ما يتعلق بالمعابد وهذا يدل على مدى ارتباط النواحي الاقتصادية بتطور الكتابة كما أنه يعتبر تمهيدا للعصر التاريخى ، ويمكن القول بأن التوصل للكتابة قد ساعد على تنظيم النواحي الاقتصادية بل والسياسية والاجتماعية كذلك - على أنه يجب أن لا يغيب عن الذهن ما نلاحظه من اختلاف فى ظروف البيئة بين مصر وبلاد ما بين النهرين حيث أنها فى الأولى قد ساعدت على توحيد كل من مصر السفلى والعليا قبل ظهور الكتابة بزمان طويل أى أن سهوله الاتصال بين الجماعات التى عاشت فيها قد مكنت من تعاونهم واتحادهم فانضموا تحت لواء

هاتين الوحدتين الكبيرتين ، أما في الحالة الثانية (بيئة بلاد ما بين النهرين) فقد كانت صعوبة الاتصال نسبيا سببا في تكوين عدد من المدن تحكم كلا منها حكومة معينة - ويرى البعض أن بلاد ما بين النهرين توصلت منذ نهاية عصر التمهيد للكتابة إلى إيجاد نوع من الحكم الديمقراطي إذ فرضت ظروف البيئة (التي كانت عرضة للكثير من الفيضانات والأعاصير وإغارات الشعوب المجاورة) إلى إيجاد نوع من التنظيم الاجتماعي وخاصة لمواجهة الخطر المشترك او للرغبة في النفع المشترك كالتحكم في مياه الأنهار واستغلالها

وكان للتوصل إلى بعض مظاهر الحضارة في كل من مصر والعراق إحداها قبل الأخرى ما جعل الأثريون والمؤرخون يختلفون فيما بينهم على أى الحضارات أسبق من الأخرى ولكن لم يمكن حتى الآن اثبات أسبقية حضارة إحداها بصفة مؤكدة ، كما أنه لا يوجد من الأدلة القاطعة ما يكفي لاثبات أن الحضارة قد انتقلت من إحداها إلى الأخرى وخاصة في تلك المراحل السحيقة في القدم .

ثالثا - إيران

تتلو العراق شرقا منطقة إيران ، وتهمنا لأنها بعد النهاية الشرقية لإقليم الشرق الأدنى من جهة ولأنها كانت ذات أثر كبير في تاريخه وحضارته من جهة أخرى ، وهي تقع في طريق المواصلات البرية بين الشرق الأقصى والبحر المتوسط وكان سكانها من أقدم الشعوب التي توصلت إلى الزراعة والاستقرار في سهولها ولذا كثيرا ما كانت تستقبل هجرات بين حين وآخر من وسط آسيا - وقد تمكن حكامها في بعض عصورها التاريخية من أن يسيطروا نفوذهم على ما جاورهم وأسسوا إمبراطورية واسعة وما أن أقل نجمها حتى أخذت تصبح مجالا لتنازع القوى الكبيرة لموقعها الاستراتيجي الممتاز ولما لثرواتها الطبيعية من أهمية اقتصادية .

وهي في شكلها العام تمثل هضبة مثلثة تنحصر بين منخفضين : الخليج العربي في الجنوب ، وبحر قزوين وشبه الجزيرة في الشمال - وهي وإن غلبت عليها الطبيعة الجبلية إلا أن سلاسل الجبال تمتد فيها حول منخفض في الوسط يمثل منطقة صحراوية كانت في الأصل بحرا داخليا ثم جفت مياهه ، ففي الغرب تمتد سلاسل جبال زاغروس التي تسير في سلاسل متوازية من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وتفصل فيما بينها عددا من الوديان ، وفي الشمال تمتد جبال البرز حتى تنسكاذ تحف بالشاطئ الجنوبي لبحر قزوين وهي تنتهي غربا في

منطقة أذربيجان التي تتوسطها بحيرة أرميا الملحية وتكاد تكون أكثر مناطق إيران كثافة في السكان ، وقد عرفت باسم د الخليج الميذى ، حيث يسهل الدخول إليها من الشمال الغربى والشمال الشرقى مما كان له أكبر الأثر فى تاريخها وفى الشرق توجد جبال خراسان وهى قليلة الارتفاع سهلة العبور ، وهى تمثل المنفذ الثانى لدخول إيران وفى الجنوب توجد جبال مكران - والجزء الأوسط من إيران صحراء من أجذب بقاع العالم وهى تنقسم إلى قسمين :- الشمالى منها عبارة عن مسطحات طينية ملحية لا يعيش فيها كائن إلا حيث تقل نسبة الملوحة فى جهات فادرة ، أما القسم الجنوبى فعبارة عن منطقة جافة تماما تنعدم فيها الحياة

وهكذا نجد أن الحياة فى إيران محتملة فى الوديان والسهول فقط سواء تلك التى تحف بالهضبة من الخارج أو تلك التى توجد بداخلها .. وأهم هذه السهول سهل خوزستان فى الجنوب الغربى (منطقة سوسة القديمة) وهو يعد امتدادا لسهول العراق وكان مقرا لمدينة قديمة مستقرة إلا أن أهله تأثروا فى تاريخهم بسكان الجبال والتلال المجاورة - وهم من قبائل بدويه أو شبه بدويه - وحينما اتسعت رقعة الامبراطورية الإيرانية كان مركزها فى وسط هذا السهل (حول سوسة) ، ومن السهول الخارجيه الأخرى السهل الشمالى الذى ينتهى عند الجبال المطلة على بحر قزوين - أما السهول الداخلية فى الهضبة فلم تلعب إلا دورا ثانويا فى حضارة إيران وكانت الصعوبة

الدائمة أمام أهلها تتلخص في محاولة تدبير مياه الري ، وقد عثر على ما يشير إلى أن القنوات الصناعية كانت موجودة بها من أقدم العصور إلى الفترة الأخمينية ، ومع هذا فإن مدن إيران القديمة وعواصمها كانت تقع في مواجهة الصحراء على طول الطريقين الرئيسيين اللذين يحفان بسلسلي الجبال العظيمة البز في الشمال ومكران في الجنوب) وكان لهذا أثره بالطبع حيث نجد أن أهم المواقع الأثرية - مثل سيالك (قرب قاشان) ودمغان ومشد وغيرها - تقع في هيئة قوس حول الصحراء الملحية سالقة الذكر .

وهكذا نجد أن الحضبة الإيرانية - من الوجهة الطبيعية - تعتبر مجزأة إلى مناطق منفصلة غير متجانسة فليس توحيداً سهلاً كما أن الدفاع عنها عسير - ومع أن هذه كانت حالها في تاريخها الطويل إلا أن أهلها وإن عاشوا مشقتين بين الواحات والسهول الزراعية الضيقة قد استطاعوا خلق مدينة تركت طابعها في كثير من المدينيات الأخرى (١) ، ويبدو هذا واضحاً من دراسة حضارتها قبل عصورها التاريخية .

العصر الحجري القديم

أقدم ما عثر عليه من آثار في إيران يدل على أن الإنسان كان

يعيش في الكهوف واستمر كذلك إلى العصر الحجري الحديث - فقد
عثر على آثار من العصر الحجري القديم في كهف تنجى بأبدا
Tang-i- Pabda في جبال بختيارى Bakhtiari التي تحد الهضبة (١)
من الغرب حيث عثر على فتوس حجرية ومن المحتمل أن الإنسان
استعمل أواني من عظام بعض الحيوانات في هذه المرحلة .

أما العصر الحجري المتوسط : فلم يعثر على آثار تشبه
في إيران حتى الآن وما زالت البحوث الأثرية غير كافية بصفة
طامة .

العصر الحجري الحديث

حينما اشتد الجفاف في أقاليم الشرق الأدنى أخذ الإنسان بهجر
المناطق التي عاش فيها إلى رديان الأنهار وبالقرب من المجارى المائية
الدائمة كما سبق أن أشرنا ، ولم يشذ أهل إيران عن غيرهم من سكان
بقية أقاليم الشرق الأدنى فاتجهوا إلى السهول حيث أخذوا يتحولون
إلى حياة الاستقرار فيها ، وأقدم المحلات التي يمكن التعرف عليها في
السهول توجد في سيالك (قرب قاشان) جنوب طهران التي تميز
فيها بين طبقات حضارية ثلاث تعرف بين الأثريين باسم سيالك ١ ،
سيالك ٢ ، سيالك ٣ على الترتيب - ولا ينتمى منها إلى العصر الحجري
الحديث إلا سيالك ١

سيالك ١ : تنتمي هذه الحضارة إلى نهاية العصر الحجري الحديث ، وفيها لم يعرف الانسان بناء المنازل بل كان يحتمى - فى أول الامر - فى دروة من المواد الخفيفة ثم عرف - فى نهاية المرحلة - كيف يقيم جدراناً من الطين يأوى إليها ، ومع أنه استمر صياداً إلا أنه أخذ يستأنس ببعض الحيوانات (مثل الماشية والاغنام التى اكتشفت عظامها مع مخلفاته) وبدأ مرحلة الزراعة وصنع الفخار وهو إما أسود أو أحمر وكانت بعض أوانيهِ مزخرفة بخطوط أفقية ورأسية متقاطعة يحتمل أنها كانت محاكاة للسلال ، ومع هذا كانت كل أدواته من الحجر وقد عثر منها على سكاكين ومخمس وقوس وغيرها - أما أدوات الزينة فكانت كثيرة منها دلايات من المحار ، وأساور ، وخواتم من المحار أو الحجر ، ومن المرجح أن الانسان فى ذلك العصر أستعمل الوشم أو طلاء الوجه على الأقل حيث عثر على مصحن وصالية دقيقين - وقد أخذت النزعة الفنية فى الظهور فبدأ الحفر والنقش فى العظام إذ نجد مقابض بعض الادوات مزينة برسوم تمثل رأس غزال أو أرنب ، وأجل ما عثر عليه من هذا العصر قطعة يحتمل أنها كانت مقبض سكين وهى فى هيئة إنسان يلبس قلنسوة ويغضى عورته لزار مثبت بحزام ، وهى تعد من أقدم تماثيل الشرق الأدنى القديم .

وكان أهل هذه الحضارة . يدفنون موتاهم تحت أرضية المنازل فى

فى وضع مقرفض ومن المرجح أنهم اعتقدوا فى البحث لوجود بعض
الأثاث الجنزى والتقدمات مع الموقى .

ويدل وجود المحار - وهو من نوع يوجد على بعد ٦٠٠ ميل
ميل من موقع سيالك - على أن إنسان سيالك (١) كان على صلات تجارية
مع مناطق بعيدة جداً ، ويرجح بعض الأثريين أنه توصل إلى معرفة
النحاس واستخدامه فى بعض الأغراض البسيطة مثل عمل الدبابيس فان صح
هذا فإن إيران تكون أول من إستخدام النحاس فى العالم القديم
ولا يمكن فى هذه الحالة أن تعتبر سيالك (١) ضمن العصر الحجري
الحديث .

عصر بداية استخدام المعادن

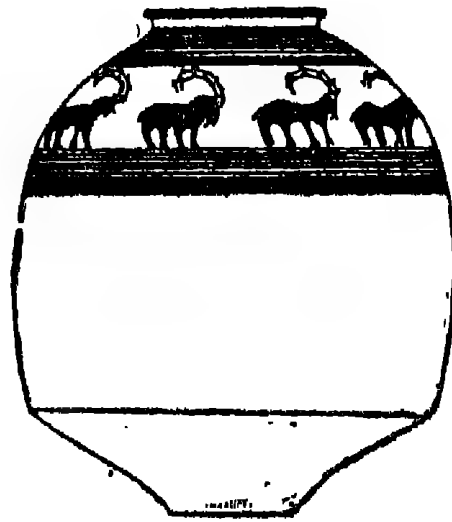
سيالك ٢ : هذه الحضارة تعاصر تقريباً حضارة البدارى فى
مصر وحضارة حلف فى العراق وحضارة العمق ح (التى سنشير
إليها فيما بعد عند الكلام على سوريا) ، وهى مرحلة متقدمة يبدو
أن الامور أستقرت فيها بما أتاح الفرصة للنهوض فبدلاً من الكتل
الطينية التى بنى بها الإنسان مأواه فى العصر السابق استخدام اللبن
الذى لم يكن منتظماً تماماً فى شكله إذ لم يكن يصنع بقوالب بل كان
يهيئ بين اليدين عما جعله يتخذ شكلاً يعضاوي (أى أنه كان فى وسطه
أكثر سمكاً منه فى الطرفين) ، وكانت المنازل متسعة وأصبحت

تطلق باللون الأحمر وتزود بالأبواب أو منافذ تغطيتها ستر ، وكان الموتى يدفنون في أرضيتها كما كان الحال في الحضارة السابقة - وتقدمت صناعة الأواني الفخارية وزادت زخرفتها حيث زينت بمناظر حيوانات وطيور رسمت بلون أسود على أرضية حمراء - وقد استخدم النحاس بكثرة وإن كان مازال يطرَق ولا يصب في قوالب ولم يتعد استخدامه صناعة بعض الأواني والمدايس ، وكثرت أدوات الزينة واستخدمت فيها مواد جديدة مثل العقيق وغيره من الأحجار البراقة - ومن الحيوانات التي استأنسها إنسان هذه الحضارة كلاب الصيد والخيل الصغيرة الحجم بالإضافة إلى الماشية والأغنام التي عرف استئناسها من العصر السابق .

سيالك ٣ : يظهر في هذه الحضارة تطور معمارى جديد إذ أصبح شكل اللبن منتظما بعد أن صار يصب في قوالب وأصبحت القرى تخرقها عمارات طويلة ضيقة ومتعرجة تفصل بين الملاك المختلفين وكانت المنازل تزود بأبواب ونوافذ صغيرة ضيقة ، ولكن كان مما يساعد على زيادة إضاءتها أن جدرانها لم تكن مستقيمة بل كانت ذات مداخل ومخارج أو فجوات على أبعاد منتظمة ، وكانت تزينها من الخارج قطع من الأواني الفخارية الكبيرة برجع البعض أنها ثبتت في الجدران لحمايتها من الرطوبة ، كذلك كانت تطلي باللون الأحمر كما في العصر السابق أو باللون الأبيض الذي أخذ يظهر في بيوت هذا العصر - وقد ظل الموتى يدفنون تحت أرضية المنازل وفي

الوضع المقرفص أيضا ، وزادت كمية الأثاث الجنزي وكترت
التقدمات .

ومن أهم الاختراعات في هذا العصر عجلة الفخار التي ساعدت
على خلق كثير من الأشكال في صناعة الأواني كذلك أدخلت أنواع



شكل ٢٤ - آنية من سيالك ٣

عديدة من الزخارف شكل ٢٤ - وتبين في رسوم الفخار أنها مرت بثلاثة
مراحل : الأولى كانت الكائنات فيها ترسم على حقيقتها ، والثانية رسمت
فيها الكائنات بشكل زخرفي مختصر ، أما في الثالثة فقد عاد الميل
إلى فن الحقيقة من جديد وتمثلت في المناظر المختلفة الحيوية والحركة
لإذ يبدو أن الفنان كان يريد أن يعبر بها عن أفكار يرغب في إبدائها
للمنظر أي أنه كان في الواقع يمهّد للكتابة ، وهذه المرحلة ترجع إلى
نفس الزمن الذي ظهرت فيه الكتابة في العراق أنها تعاصر نشأة

الكتابة هناك - ولم يقتصر التقدم الفنى على رسوم الفخار بل لجد أن الإنسان صنع من الفخار تماثيل صغيرة تمثل إلهة الأمومة وأنواع عديدة من الحيوانات ولعب الأطفال .

وقد تطورت صناعة المعادن فأصبح النحاس يصهر ويصب في قوالب لعمل الأدوات المختلفة وإن كانت الآلات الحجرية ظلت مستعملة كذلك - وتعددت أدوات الزينة وزاد استخدام الأحجار شبه الكريمة ، ومن المرجح أن اتساع نطاق التجارة جعل الصناع يميزون صناعاتهم بعلامات مميزة فاستخدموا ختما من الحجر على شكل خروط كان في بداية الأمر ينقش بزخارف هندسية الشكل ثم وضعت معه ذلك رموز أخرى من الكائنات الحية والنباتات التي كانت تستوحى من رسوم الفخار .

وكان التقدم واضحاً في كل مضمار أثناء هذه المرحلة الحضارية إذ ارتقت الحياة الاجتماعية حيث انتظمت الجماعات المختلفة في مدن كبيرة في مناطق السهول وخاصة في سوسة حيث ظهرت أول حكومة مدنية في عيلام ، أما في المناطق الأخرى من الهضبة فإن قلة عدد السكان وتفرقهم في أماكن متباعدة بما أخر نمو هذه الجماعات في مدن كبيرة .

وجدير بالذكر أن المراحل الحضارية الثلاثة السابقة لم يستكشف في أي الأماكن الأثرية بالهضبة ما يمثلها كلها ، في جيان (قرب نهاوند)

وتل باكون وسوسة مثلا لم تستقر الحضارة فيها إلا من نهاية عصر سيالك ٢ وبعدها أخذ الفخار الملون ينتشر في كل أنحاء الهضبة ثم أخذت صناعة الفخار والمعادن تخطو في تقدمها خطوات موحدة تقريبا وإن وجدت مميزات فردية لكل منطقة ، فرغم انتشار الفخار الملون في تلك الأرجاء حتى وصل الى شمال الهند إلا أن كل مصنع كان يميل إلى أشكال معينة ويتأثر بمؤثرات خاصة ، وقد مهد ذلك الى تطور الحضارة في منطقة عيلام قبل دخولها في عصرها التاريخي .

فترة التمهيد للعصر التاريخي في عيلام

أشرنا إلى أن علامات عدم انعدام الوحدة في صناعة الفخار الملون أخذت تظهر في النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد ثم اختفى هذا الفخار فجأة من سوسة وحل محله فخار أحمر مثل ذلك الذي ظهر في العراق وهو النوع المعروف باسم « اوبروك » ، - وربما يرجع ذلك إلى حدوث نهضة حضارية في سوسة يبدو أنها كانت متأثرة بحضارة العراق وإن كانت تختلف في نوع الكتابة التي توصلت إليها حيث وجدت في سوسة .. في تلك الفترة التي ظهرت فيها كتابة جده نصر بالعراق .. كتابة تعرف باسم « ما قبل العيلامية » .

ولم تكن منطقة سوسة هي المنطقة الوحيدة التي تأثرت بمؤثرات

غربية إذ أن الأبحاث الأثرية أثبتت أن كل السواحل الشمالية للخليج العربي قد تأثرت بها ، كما أن المناطق الجنوبية من إيران ناضلت طول العصور التالية - هذه الحضارة - دخول المؤثرات الثقافية التي كانت تأتي من العراق ، أما المناطق التي كانت في غرب الهضبة فلم تعاني ضغطاً أجنبياً وظل الفخار الملون مستعملاً بنفس الأساليب القديمة ولكن أضيفت إلى أشكاله وزخارفه القديمة أشكال وعناصر زخرفية جديدة كما يتبين ذلك في آثار جيان ، ومع هذا فقد أخذ الفخار الملون في الاختفاء تدريجياً من غرب إيران وحل محله الفخار الأسود أو الرمادي المسود بما يوحى بتسلل عناصر أجنبية إلى المنطقة واندماجهم بالسكان الأصليين فيها ، وتدل شواهد الأحوال على أن تلك العناصر الداخلية - جاءت من التركستان الروسية أو من سهول وسط آسيا البعيدة واستمروا في تقديمهم غرباً حتى وصلوا إلى كبادوشيا Cappadocia بآسيا الصغرى .

ولم ينج وسط إيران من المؤثرات الخارجية فقد وجدت في سيالك آثار تدل على حدوث حريق وتدمير لبعض المساكن التي تنتمي إلى سيالك ٣ وإقامة مساكن أخرى لاختفى الفخار الملون منها وحل محله فخار أحمر أو رمادي يشبه في أشكاله فخار سوسة ، كما أن الختم الاسطواني أصبح يستعمل بدلاً من الختم المخروطي الذي كان معروفاً من قبل ويدلنا هذا على إدخال الكتابة على الألواح الطينية وبالفعل ظهرت الكتابة قبل العيلامية ووجدت آثار كتبت بها مع هذه

الآختم ، ويبدو أن العناصر التي جلبت معها هذه الكتابة « قبل العيلامية » إلى سوسة دخلت أيضا إلى منطقة سيالك في غزوة وحشية ومن المرجح أنهم كانوا أقوى وأغنى من سكان المنطقة الأصليين فوجود مظاهر حضاريه (من تلك التي أحدثوها في سوسة) بمنطقة سيالك مع ما صاحبها من آثار تدمير وحريق يشير إلى أن هذه الحضارة قد فرضت بالقوة على غير ما عهدناه في المنطقة الشماليه (جيان) حيث تسلك إليها العناصر المسالمة التي جلبت معها الفخار الأسود والرمادى المسود واندججت مع السكان الأصليين .

وتتميز منازل هذا العصر بأنها بنيت بعنايه ولو أن أبوابها ظلت حقيقرة ، وكانت تزود عند مدخلها بموقد مقسم إلى قسمين - أحدهما للطعام والآخر للخبز - وإلى جانبه إناء للباء ، وقد عثر فيها على أثاث متواضع خشن الصنع كانت مفرداته والمؤن المختلفه توضع داخل فجوات مخصصة لها أو تحاط بأسوار أو حواجز حجرية لحمايتها - وكان الموتى يدفنون تحت ارضية الحجرات وتوضع معهم مهمات جنزية وتقدمات مختلفه مثل أدوات الزينه والمرابا النحاسيه وأواني من المرمر وغيرها ، كما أن الموتى أنفسهم كانوا يتزينون بحلى كثيرة منها دلايات من الفضة المطعمه بالأصداف والذهب والسلايس لادولى^(١) ودلايات أخرى من الفضة المطروقه وأقراط مزينة بقطع من الذهب واللابس

(١) كان التعلّميم بتثبيت هذه المواد في الفضة بواسطة الفار Ghirshman, Iran, 48

لازولى بالتبادل وأساور من فضه وعقود طويلة خرزها من أحجار بيضاء ومن الذهب والفضه واللابس لازولى والعقيق ، ويوحى تعدد المواد ورقى الصنائه بأن هذه الحلى صنعت فى سوسه أو فى بلاد العراق حيث عثر على ما يشبهها فى المقابر المالكيه فى أور .

وتنحصر أهميه تلك الحضارة التى وجدت فى سوسه وتوغلت إلى وسط هضبة إيران فى إستخدام الكتابة التى يدل مظهرها على أنها كانت متقدمة عن الكتابة النصورية البحتة ومع أنها لم تقرأ بعد إلا أن ما عثر عليه من نصوص كتبت بها يدل على أن هذه عبارة عن أرقام وعمليات حسابية خاصة بشئون تجارية .

ومنطقة سيالك هى الموقع الوحيد الذى وجدت فيه وثائق مكتوبة قبل عصر الأخمينيين ^(١) فى داخل الهضبة وحيث أن هذه المنطقة قد تأثرت بحضارة عيلام ^(٢) فلا بد أن الكتابه والثقافة العيلامية قد انتشرت إليها عن طريق توسع سياسى عيلامى ويحتمل أنها كانت لخدمة أغراض تجارية حيث ظلت قائمة طوال المدة التى بقيت فيها مراكز تجارية عيلامية فى وسط الهضبة ثم اختفت بعد زوالها .

(١) منذ أوائل الألف الأول قبل الميلاد سادت لإيران ثلاث عناصر هندوأوربيه فقد حكمها أولا الايرانيون الميديون ثم الأخمينيون الذين كونوا إمبراطورية واسعه تنازعت مع اليونان على السيادة على العالم القديم إلى أن قضى عليها الإسكندر الأكبر .

(٢) أنظر أعلاه ص ٩٦ - ٩٩

الحضارة الفعالة في مصر وبلاد النهرين وآسيا الصغرى جعلته يتأثر بتلك الدول القوية وحضاراتها .

(٣) وجود المناطق الصحراوية في شرق الإقليم وجنوبه جعله المطمع الدائم للبدو من سكان هذه الأقاليم ولذا كان صراع سكانه ضد تلك العناصر مستمرا .

ولا شك في أن هذه العوامل كانت لها أيضا أكبر الأثر في الحضارات التي سادته قبل عصوره التاريخيه وسنتبعها على النحو التالي :-

العصر الحجري القديم

العصر الحجري القديم الأسفل : وجدت آثار حضاراته (التي تشبه مثيلاتها في جهات العالم الأخرى) في كهوف عدلون (بين صيدا وصور) وفي الكرمل وأم قطفة (شمال غرب البحر الميت) والزطية (شمال غرب بحيرة طبرية) ورأس شمرا (أوجاريت) - ولم يعثر على بقايا بشرية تمثل سكان هذا العصر ^(١)

العصر الحجري القديم الأوسط : عثر على آثاره في كهفين بجبل الكرمل وكهف في جنوب الناصرة وكهف آخر في شمال غرب

(١) أنظر مع ذلك ويليام حتى « تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ترجمه جورج حداد وعبد الكريم رافق ص . »

طبرية ، وقد عثر في بعض هذه الكهوف على بقايا بشرية تبين أن
إنسان هذا العصر كان خليطاً من السلالات التي تمثل لإنسان
نياندرثال وأنواع أرق منه تكاد تشبه الإنسان الحديث - ومن المحتمل
أن الإنسان كان في هذا العصر ياكل اللحوم البشرية كما يستدل على
ذلك من بقايا العظام البشرية التي وجدت وقد استخرجت مادتها
النخاعية (١) .

العصر الحجري القديم الأعلى : وجدت آثاره في كهوف أنطلياس ونهر
الكتاب وفي كهف بالقرب من طبرية حيث عثر فيها - فضلاً عن
الأدوات الميكروليثية - على بقايا هياكل عظمية لأنواع مختلفة من الحيوانات
مثل الكركدون والضبع والثعلب والماعز والغزلان (وهذه
الآخيرة كانت أكثرها) كما عثر على بعض بقايا إنسانية ، ومن المحتمل
أن الإنسان - في هذه المرحلة - توصل إلى معرفة النار واستخدامها في
الظهي .

العصر الحجري المتوسط

تمثل هذا العصر في ذلك الاقليم حضارة تعرف باسم
الحضارة الناطوفية (٢) (نسبة إلى وادي النطوف

(١) أنظر مع المراجع السابق ص ١١

(٢) Dorothy A.E. Garrod & D.M.A. Bates "The Stone Age of Mount Carmel," Vol 1 (Oxford, 1937) pp.114,136,175-7;
D. A. E. Garrod, " A New Mesolithic Industry: The Natufian of Palestine", in the Journal of the Royal Institute of Great Britain, vol. LXII (1932), pp. 267 ff.

شمال غربي القدس) ، وفيها ظلت الأدوات الميكروليثية مستعملة فيه ولكن بعض الحيوانات أخذت في الاختفاء نظرا لتغير الظروف المناخية - ويستدل من بقايا إنسان هذا العصر على أنه كان قصير القامة مستديرة الرأس ، ويرجح أنه عرف استئناس الحيوان وبدأ المرحلة البدائية في الزراعة وإن كان هذا لا يستند إلى دليل قوى حتى الآن . وقد اتخذ الإنسان في هذا العصر منازل عبارة عن أكواخ من الطين أو اللبن عثر على أقدم بقايا لها في أريحا وتل الجديدة (شمال سوريا) ورأس شمرا ويتغالى بعض المؤرخين تبعا لذلك فيعتبر سورية المركز الحضاري الرئيسي في الشرق الأدنى بأسره وهو ما لا يتفق مع وجود الحضارات العظيمة في مصر والعراق .

وربما أخذ الإنسان ابتداء من ذلك العصر يحد متسعا للتأمل والتفكير فهداه هذا إلى نوع من العقيدة بدليل العثور على بعض أواني الطعام والتقدمات في أما كن الدفن ، كما أنه أخذ ينمى ملكته الفنية حيث أصبح يحاول محاكاة ما حوله من أنواع الكائنات بحفرها على العظم أو الحجر فقد عثر على قطعة من العظم في هيئة غزال كما وجدت بعض الأدوات في أشكال تمثل صور بعض الحيوانات الداجنة .

ويتمثل العصر الحجري الحديث وما بعده (بداية استخدام المعادن) إلى العصر التاريخي في عدة مواقع في سوريا وفلسطين وقد اصطلح

كثير من الآثاريين على اتخاذ منطقة العمق في سوريا نموذجاً للحضارات التي شاعت في تلك الفترة نظراً لأن تلالها الكثيرة بطبقاتها المختلفة تحوى آثاراً لكل من هذه الحضارات ويقابل هذه المنطقة في فلسطين منطقة جربكو وتل الغسولية على التوالي .

آثار الحجرى الحديث

عثر على آثاره في مواقع تل الجديدة وسا كجى جوزى (فى أقصى شمال سوريا) ومرسين فى كيليكيا وهى تقابل طبقتى العمق ١ ، ب فى سوريا وجربكو ١٠ ، ٩ فى فلسطين ، ويمكن أن نعدّها نظائر لحضارات تلى حسونة بالعراق وسيلك « ١ » ، إيران وبداية البدارى فى مصر وهى تمثل مرحلة إستقرار بالمعنى الصحيح فقد عثر منها على بعض الفؤوس والمناسجل الحجرية التى لا شك فى أنها استخدمت فى الزراعة ، كما عثر فيها على أجرات ومخازن - ومن أهم ما عثر عليه كذلك أوانى فخارية ربما كانت متأثرة فى صناعتها بما كان سائداً فى سامراء وإن كان البعض يميل إلى نسبتهم — إلى حضارة حلف ^(١) .

عصر بداية استخدام المعادن (عصر النحاس والحجر)

يتمثل فى أوجاريت وقرقيش وفى جزروتل الغسول وفى الطبقة جـ

(١) فيليب حتى « تاريخ سورية ... » (المترجم) ، ص ٦٥

بمنطقة العمق وفي جريكو ٨ . (وهي تقابل تقريباً حضارة حلف بالعراق والجزء المتأخر من حضارة البدارى) ، وقد أثر فيها على منازل من اللبن أساساتها من الحجر الغشيم (غير المذهب) ، وكان الأطفال يدفنون عادة في جرار تحت أرض المنزل أما البالغون فكان بعضهم يحرق والبعض يدفن في جرار على هيئة الجنين ^(١) ، ومن المحتمل أن تحصينات المدن بدأت من هذا العصر - وكانت الزراعة تعتمد على الرعى واستخدام الحيوان كالثور (الذى يرجح أنه قدس) والماعز والغنم ، وكان الحمام يقرن عادة بالإلهة الأم - وفي هذا العهد كانت تغلب على السكان صفات جنس البحر الأبيض المتوسط في الجنوب أما في الشمال فيغلب أنهم كانوا من الأرمنيين .

عصور ما قبل الأسرات

تتمثل في أريحا ومجدل (تل الميتسم) والعقولة وبيت شان (بيسان) وأرجاريت وبيلوس وهي تقابل طبقات العمق د ، هـ ، و في سوريا والغسوية وعصر البرونز الأول في فلسطين - ويبدو أن سوريا خلال هذه المرحلة كانت في حضارتها تسير حضارات مصر والعراق المناظرة لها وخاصة في الجزء الأخير من عصر ما قبل الأسرات

(١) C. Leonard Woolley, " Hittite Burial Customs " in The Annals of Archaeology and Anthropology, University of Liverpool, VI (1914) p. 88

في مصر وقبيل الكتابة في العراق أى حضارتى سميانة وجمدة
نصر على التوالى ، ومن المحتمل أن الصلات التجارية والحضارية قد
نشطت في هذا العصر كما أن الحضارة السورية قد تطورت خلاله
إذ نجد أن الفخار صنع بالعجلة وأستخدم اللبن في البناء وكانت
الجدران المطلية بلون أبيض تزين برسوم تمثل بعض الأشخاص
والآلهة ، وقد توصل أهل هذا العصر إلى صب المعادن حيث عثر في
تل الجديدة على تماثيل نحاسية صغيرة مصبوبة ، ويتجلى التطور الفنى
بصورة واضحة كذلك في زخرفة الأواني بطلاء زجاجى .

آسيا الصغرى

تعدد أنواع المناخ التى تسود أجزاء هضبة الأناضول المختلفة
إلى درجة تدعو إلى الاعتقاد بأن من الممكن أن يحدد كل من
الإنجليزى والأفريقى والسويسرى والروسى وغيرهم نوع المناخ الملائم
له - فهضبة أرمينيا التى يصل ارتفاع جبال أارات فيها إلى ١٧ ألف
قدم هى فى الواقع امتداد لسلسلة جبال البرز التى تحد هضبة إيران
شمالا وتطل على بحر قزوين ، وتنتهى هضبة أرمينيا إلى خطوط
تقسيم مياه الفرات التى تعتبر الحدود الطبيعية لهضبة الأناضول بالمعنى
الصحيح . ومن هنا تبدأ سلسلتان جبليتان إحداهما تتجه إلى الشمال
الشرقى والثانية إلى الجنوب الغربى وتمتد كلاهما ، فيحاذى امتداد
إحداهما ساحل البحر الأسود ويتجه امتداد الأخرى إلى البحر

المتوسط وبذلك يحصران فيها بينهما الهضبة الوسطى المرتفعة غير أن طرفيها يدوران إلى الداخل بحيث يخيل إلينا أنها تستديران . ففي الشمال يدور طرف السلسلة التي توازي ساحل البحر الاسود إلى ما يعرف باسم القوس البونتي Pontic Arc الذي لا يتخلله إلا بعض الاخاديد العميقة تمر فيها مياه الانهار إلى البحر . أما السلاسل المقابلة لها في الجنوب وهي طوروس فتتحد إلى سهول قيليقيا - والهضبة فيها بين هاتين السلسلتين حديثى التكوين أشبه بحوض متوسط وهي ترتكز على صخور قديمة تكاد تكون في طبقات أفقية ، وفي غرب هذا الحوض الأوسط نجد عدة بحيرات وأنهار يصعب انحدارها إلى البحر لأن شبه الجزيرة تنتهى بسلاسل جبلية متوالية تمتد نحو بحر إيجه ، وهي تعد امتدادا للسلاسل الموجودة في بلاد اليونان ، ويعزى اختلاف المناخ وتباينه بين اجزاء الأناضول المختلفة إلى اختلاف التضاريس إذ يشتد الاختلاف في درجة الحرارة بين السهول المنخفضة والجبال المرتفعة ،

فمن الناحية المناخية يبدو أن الهضبة لم تكن مغرية للسكنى في الألف الرابع قبل الميلاد وعلى هذا لاشك في أن القرويين الذين عرفوا الزراعة والاستقرار لم يكونوا هم أول من غامر بسكنى الهضبة وكانت لديهم الشجاعة على تحمل شتائها الطويل أى لا بد أنهم وفدوا إليها من الخارج - وإذا ما حاولنا أن نتعرف على الموطن الأصلي الذي جاء منه هؤلاء لوجدنا أن الأدلة الأثرية تعوزنا في هذا

السبيل ، ولكن التأمل في الظروف المحيطة بالهضبة تجعلنا نستبعد قدومهم من المناطق الجنوبية البعيدة لأن سكان هذه الجهات كانوا قد تحولوا من البداوة إلى حياة الزراعة والاستقرار وليس من اليسير أن ينتقلوا إلى قيليقيا وأحواض الأنهار العليا في الهلال الخصيب ومنها إلى داخل هضبة الأناضول ، ومن المعقول أن نتصور بأن أولئك الوافدين هاجروا إلى الأناضول من القوقاز أو من منطقة بحر قزوين حيث وصلت في نفس الوقت هجرة أخرى من عنصر جنسى مخالف (ولكنه كان يعيش في ظروف مشابهة تقريبا) إلى المناطق التي تحف ببحر إيجه من الغرب وقد عاش هؤلاء الأخيرين مع السكان الأصليين - الذين سبقوهم إلى تلك الجهات - في وئام تام فترة طويلة .

ويجب أن نلاحظ بأن آثار أماكن الإقامة أثناء العصر الحجري القديم في آسيا الصغرى كما في الجهات الجبلية الأخرى . التي تحف بهلال الخصيب في فلسطين وكردستان العراقية وإيران توجد في كل من الكهوف والعراء ...

أما العصر الحجري الحديث الذي يرجح أنه كان في الآلف الخامس قبل الميلاد فتتمثل آثاره في أعماق الطبقات في بعض البقاع مثل مرسين وطرسوس وساكنجي جوزى التي تحتل مواقع جغرافية تجعل ظروفها مشابهة لتلك المواقع التي وجدت في الهلال الخصيب

وعلى ذلك يمكن أن تعد الامتداد الشمالى لها ولذا ألحقناها بها على اعتبار أنها أقرب الجهات إليها .

العصر الحجري القديم

ظل البحث عن آثار العصر الحجري القديم ابتداء من سنة ١٨٨٤ إلى بداية الحرب العالمية الثانية يتم بطريقة غير منظمة . وعلى أسس غير علمية وعلى ذلك فإن أى خريطة لتوزيع ما عثر عليه من آثار ذلك العصر تعطى نتائج خاطئة لأنها مركزة فى المناطق التى يكثرت إرتيادها لسبب أو لآخر ومن بين الجهات التى وجدت فيها تلك الآثار قرقيش وملاطيا وحول العاصمة الحديثة أنقرة وقد تغير ذلك بعد افتتاح معهد الدراسات البشرية التابع لجامعة أنقرة سنة ١٩٣٦ ، ومنذ ذلك الحين تقدمت الأبحاث الأثرية . وتتلخص نتائجها المعروفة كما يلى : - ^(١)

Seton Lloyd, " Early Anatolia ", (Pelican 1956), (1)
pp 51-2 .

الحضارة الشيلية فى أوزاغيل ؟ (أنقرة) ، بندك (خليج ازمت)	الاسفل	العصر الحجرى القديم
الحضارة الكلاكتونية فى دوالك (فى منطقة جازيانتب)		
الحضارة الاشولية فى لودوملو ؟ ييريحك (منطقة قرقيش)		
» الليفالوازية - الموستيرية فى آديامان (منطقة أنقرة) توزجول ؟ لودوملو ؟	المتوسط	
الحضارة الاورينياسية فى آديامان وعثر على بعض الصوان فى منطقة أنقرة	الاعلى	
الحضارة السولترية غير معروفة مواقعها وربما لم توجد		
الحضارة المادلينية		

ومن الممكن تبعاً لذلك أن نستنتج بأن أماكن إقامة الإنسان وجدت فى الأناضول منذ بداية العصر الحجرى القديم وسوف نرى بان آديامان (Adiyaman) فى حوض الفرات الاعلى بالقرب من ملاطيا (Malatya) لها أهمية خاصة إذ أنها تبين استمرار استقرار الجماعات البشرية خلال فترات متعاقبة كذلك تعتبر ذات أهمية خاصة لأنها تمثل حلقة الاتصال الأولى بين الاقليم السورى من جهة وبين ما وجد من حضارات فى كردستان والقوقاز من جهة أخرى .

ويجب أن لا يغيب عن الذهن أن الدلائل الأثرية التي اعتمد عليها الباحثون حتى الآن تتكون في معظمها من مجموعات متفرقة من المخلفات السطحية (الآثار التي وجدت على سطح الأرض) ومن الآثار التي اكتشفت غير منتظمة في طبقات ، أما النتائج التي ينتظر في الوقت الحالي أن تتوصل إليها على أسس سليمة فهي تلك المترتبة على الاكتشافات التي قام بها كوكتن (K. Kokten) في كهف يسمى كارين (Karain) بالقرب من أنطاليا (Antalya) حيث وجدت آثار الحضارات الأشولية ونهاية الأشولية (Micoquian) والموستيرية والأورنياسية متتابة في طبقات - كما عثر كوكتن كذلك على آثار لبعض حفريات حيوانات فقرية أهمها دب الكهوف (Wrsus Spelaus) وأسد الكهوف (Felis spelaeus) ، ومن بين البقايا الأخرى التي عثر عليها في نفس الكهف أمكن التعرف على سنة من أسنان طفل من جنس نياندرثال .

العصر الحجري الحديث

بدأ سلوك الإنسان يتغير حتى أصبح يطلق على هذا العصر الجدي اسم ثورة العصر الحجري الحديث حيث بدأ الإنسان في استئناس الحيوان وعرف الزراعة المنظمة وكان هذان كافيان لأن يغيرا من نظام حياته تغيرا شاملا ، ولحسن الحظ فإن ما خلفه انسان ذلك العصر من آثار كان من المواد التي يمكنها الاحتمال وبقاؤها إلى

ويبدو أن ثورة العصر الحجري الحديث كانت قاصرة على منطقة تحددها سلاسل طوروس والسفوح المطلة على سهول سوريا، والتفسير الوحيد الذى يقال أحيانا هو أن تلك المناطق كانت موطن نمو الحبوب التى كان يعتمد عليها الاقتصاد الزراعى المترتب على تلك الحياة ، ولكن نظرا لأن القمح والشعير (اللذان تطورا عن الحشائش الطبيعية وعرفا فى ذلك الوقت) كانا ينموان أيضا فى مناطق أخرى مثل القوقاز ولا بد أن انعدامهما فى هضبة الاناضول كان يرجع إلى ظروف المناخية ، فلا شك إذا فى أن الظروف المناخية هى السبب المعقول الذى جعل لإنسان العصر الحجري الحديث يحتمى وراء حدود معينة .

وبالطبع لا تقتصر معلوماتنا عن العصر الحجري الحديث فى الشرق الاوسط على الاكتشافات التى تتم داخل الحدود التركبة .. فى حسنة مثلا فى شمال العراق يمكن تتبع الانتقال من حياة البداوة (التى تعتمد على جمع الطعام) إلى المجتمعات الريفية (التى عرفت الزراعة) مرحلة مرحلة فى كثير من التفصيل وبصورة واضحة دقيقة - رقد عشر حديثاً فى جريكو بفلسطين على أثار تدل على بدء انتقال مثل تلك الجماعات إلى حياة الاستقرار فى تدل على أن بقعة الاستقرار كانت محاطة بحائط خارجى وقد اتبعت فيها وسائل بناء بدائية ترجع إلى الفترة التى سبقت اختراع الفخار ، وكذلك عشر على بقعة مماثلة فى جارمو فى كردستان العراقية وإن كان من المحتمل

أنها تمثل مرحلة أسبق من تلك التي عرفت في جريكو ، وقد أكدت حفائر جارستانج Gorstang ^(١) التي قام بها في تركيا - بأن حضارة العصر الحجري الحديث إذ ما وجدت في بقعة ما فإنها تستمر في تطورها دون انقطاع على أنه من الممكن أن نميز بينها وبين حضارات عصر بداية استخدام المعادن (التالية لها) بـمميزات واضحة - ويتضح هذا بصفة خاصة في مرسين حيث وجدت آثار منطقة السكنى في ثمانية أمتار من الرديم بها ثمانية طبقات متعاقبة من المباني - ومع أن منطقة صغيرة هي التي اكتشفت في كل من مرسين وساكجي جوزى إلا أن الآثار التي اكتشفت فيها تمدنا بكمية من الفخار والادوات الصوانية وأشياء أخرى صغيرة تمكننا من تكوين فكرة كافية عن النماذج التي سادت في تلك الفترات .

عصر بداية استخدام المعادن

(استخدام الحجر والمعدن)

تتضح بداية عصر استخدام الحجر والمعدن من الناحية الأثرية بواسطة عدد من المستحدثات التي كان لها أثرها بالطبع في زيادة وتنويع أساليب الحياة التي كانت قائمة بالفعل ولكنها لم تحدث تطورا ثوريا أى أن الإنسان ظل يتدرج في استعمال الحجر والمعدن فترة

طويلة يحتمل أنها استغرقت الجزء الأعظم من الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد ، فاستخدامهما بناء على ذلك لا يمثل مرحلة واحدة فحسب بل عددا من مراحل التطور الحضارى - وحينما بلغت حضارة هذا العصر منتهاها كان الانسان يعيش في مدن محصنة بها معابد وقصور ويشرع قوانينه ويكيف حياته حسب حاجياته ، وإذا افترضنا أنه لم يصل إلى هذا المستوى الحضارى في الاثناضول فإن من الثابت أنه في العراق - على الأقل - استطاع أن يتقن فن الكتابة وأن يترك للمخلف أقدم الوثائق التى - لا تقبل الشك - عن آرائه وأعماله ، أى أن حضارات العصر الحجري الحديث التى تتفق في مظاهرها مع المظاهر السائدة بين معظم الشعوب البدائية المتوحشة في العالم الآن كانت حينئذ قد نسيت في العراق منذ زمن طويل .

وقد درست آثار عصر استخدام الحجر والمعدن بكثير من التفصيل خلال العشرين سنة التى تلت الحرب العالمية الأولى عن طريق عمليات التنقيب المتوالية التى تم معظمها في العراق حيث عثر في « حسونة » على مخلفات قرية بنيت مساكنها من الطمى بعد أكواخ العصر الحجري الحديث كما عثر في أربجية على قرية أخرى بها معابد دائرية ترجع إلى عصر « حلف » وتدل أقدم الآثار المعمارية التى ترجع إلى حضارة العبيد في تبة جوارا (Jawara) وأريكو - هى والتغيرات التى حدثت في الفخار على دخول عناصر جديدة لوحظت في أوروك ^(١) ، كذلك تدل الآثار التى كشف عنها في بضعة مواقع

أخرى عن التقدم الثقافى الهائل الذى تلى هذه المراحل كلها وجميعها تبين مراحل تطور فى السلم الحضارى - ولما وجدت مخلفات هذه العصور التى أصبحت مألوفة الآن فى شمال سوريا ثم فى طرسوس ومرسين خلف الحدود التركية كانت أهميتها بالغة لأنها تدل على عظم امتداد منطقة استخدام الحجر والمعدن نحو الغرب والشمال .

ولا يقل أهمية عن ذلك ما نلاحظه من تباين بين الحضارات المحلية التى توجد فى المناطق المجاورة لها ، فهذه الحضارات كانت مختلطة فى مراحلها الأخيرة مع عناصر دخيلة جاءت من أجزاء أخرى من العالم يمكن ربط تاريخها بتاريخ العراق الذى يمكن الاعتماد عليه ، وبهذه الوسيلة يمكن احتساب أقدمية المخلفات التى عثر عليها من عصور ما قبل التاريخ فى مواقع بعيدة قد تصل إلى حوض الدانوب الأدنى - ومع هذا فإن الجهات الداخلية من الأناضول ظلت مناطق مجهولة بالنسبة لأهل حضارة استخدام الحجر والمعدن ولم يتنبهوا إليها إلا فى أواخر هذا العهد .

أما فى مرسين فإن جارستانج (Garstang) ^(١) عثر على مخلفات من هذا العصر أمكنه أن يقسمها إلى ثلاثة مراحل : قديمة ووسطى ومتأخرة وتتفق أقدم مراكز الاستقرار داخل هضبة الأناضول فى تاريخها - إن لم يكن فى كثير من مظاهرها أيضا - مع هذه المرحلة

(١) أنظر أعلاه ص ٧٦ وما بعدها .

(٢) J. Garstang, " Prehistoric Mersin " . (Oxford - 1952) .

الآخيرة ، وعلى هذا ينبغي أن نستنتج بأن شينا شبيها بالحاجز (المناخى ؟) الذى ساد فى العصر الحجرى الحديث ظل قائما إلى نهاية المرحلة الوسطى من عصر استخدام الحجر والمعدن (التى تتفق مع عصر حضارة العبيد فى بلاد العراق) مما أدى إلى بقاء الأناضول غير آهلة بالسكان حتى ذلك الحين .

وعن طريق الاكتشافات الحديثة ومعرفة مظاهر السطح أمكن تحديد خطوط هذا الحاجز ، فمن خريطة تبين الحدود الجنوبية لتركيا نجد أن هذا الحاجز يتمشى بدقة مدهشة مع خط كوتتور (ارتفاع) المنحدرات الجنوبية للجبال التى ترتفع ألفى قدم أو أكثر ، ولذا فإن هذا الحاجز - مع أنه يتجه من الشرق إلى الغرب تقريبا - إلا أنه يسير فى طريق غير منتظم تتخلله فجوات عميقة تخترقها بعض الممرات مثل وديان الدجلة والفرات التى تخترق الأراضى المرتفعة وتمتد شمالا فى سهول قيليقيا .

أقدم مراكز الاستقرار فى الهضبة

هذا هو الموقف فى الوقت الذى يمكن أن نقول بأنه أقدم العهود التى يتناولها علم الآثار - بالبحث داخل هضبة الأناضول . فى وقت ما من القرون الأخيرة للآلاف الرابع قبل الميلاد كانت الجهات الواقعة إلى شمال الحاجز القديم قد عرفت وأصبح فى الامكان أن يسكنها شعب زراعى وبدأت المحلات الزراعية تظهر فى الهضبة نفسها وفى

الإقليم الإيجي في الغرب ، ولذا تواجهنا مشكلة معرفة الاتجاه الذى جاء منه المستوطنون الأول وموطنهم الأصيل ومع الأسف لا نستطيع حتى الآن استنتاج ذلك اعتمادا على براهين مؤكدة .

وما زالت المعلومات التى أمكن الوصول إليها عن هؤلاء الأناضوليين الأوائل ضئيلة للغاية وغير كافية لأنها جاءت عن طريق الاكتشافات التى تمت فى مواقع قليلة ، ومعظم هذه الاكتشافات لا تخرج عن كونها مجسّات طبقية فى أماكن قليلة أو أشياء وجدت على سطح الأرض فى أماكن أخرى ، ومع هذا يمكن القول بأنها تغطى مساحة جغرافية لا بأس بها إذ أنها تمتد من أقصى الغرب إلى حدود إيران ولو أنها فى أول الأمر لم تخرج عن كونها سلسلة من الاكتشافات المتفرقة التى أمدتنا بمخلفات تتميز فى كل موقع أو مجموعة من المواقع المتجاورة عما عداها ولم يمكن معرفة أنها ترجع إلى عصر استخدام الحجر والمعدن إلا عن طريق أدلة الطبقات فقط ، ومن أمثلة ذلك ما يشاهد من اختلافات بين المخلفات التى عثر عليها فى كل من على شهر وأزجوق بالقرب من سمسون ونداراتبه ويوق جلوجك بالقرب من الأجا وطرواده وكوم تبه وغيرها - ومع أن كل هذه تتميز فى صفات معينة عن الآخرين إلا أن هذه الصفات الخاصة ترجع - دون شك - إلى اختلاف المظاهر الجغرافية التى كانت تميز تلك البيئات المختلفة ، ويرى البعض أن من المحتمل وجود صلة بين الأناضول والبلاد التى تحف ببحر إيجه وامتدادها

شمالا حتى حوض نهر الدانوب ، ويؤكد وجهة نظرهم هذه ما يرى من تشابه بين أشكال الفخار التي اكتشفت حديثا في بقعة تعرف باسم فكيرتية Fikirtepe (على الشاطئ الآسيوي للبسفور) مع فخار جلوجك مما يساعد على تحديد اتجاه حركة الاستيطان الأولى في الهضبة - ومن الغريب أن المخلفات الأثرية في الأناضول لا تدل على أى نوع من الصلات التي تربطها بمخلفات الحضارة التي تطورت عن حضارة العصر الحجري الحديث فيما وراء الحاجز الجنوبي وعلى هذا نستبعد كلية احتمال استيطان هضبة الأناضول عن طريق انتشار سكان تلك الجهات الجنوبية إلى الشمال ، والواقع أن أول الاتصالات الملحوظة بين هؤلاء وبين جيرانهم في الأناضول يرجع إلى وقت تكوين أول محلة في طرواده (١) .

عصر البرونز القديم

يشمل هذا العصر الجزء الأكبر من الألف الثالث قبل الميلاد واليه ترجع أول محلة في طرواده (٢) وأقصى غرب اسيا الصغرى وقيليقيا بينما تتفق بداية استخدام النحاس في هضبة الأناضول نفسها وتاريخ

Seton Lloyd, op. cit., 95 - 61

(١) .

C. W. Belegen, " Troy " , General Introduction. (٢)

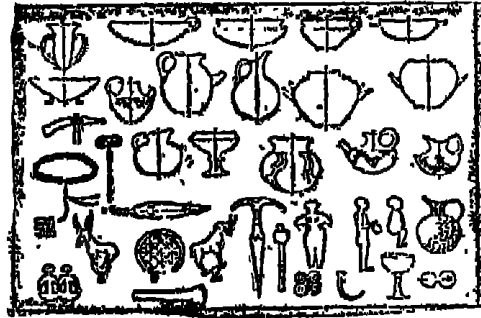
The First and Second Settlements. 2vols. (Princeton 1950) .

المحلة الثانية في طرواده ولذا فإن من المستحسن أن يطلق اسم عصر النحاس عند الكلام على الأفاضول نفسها .

وقد وصفنا عدم الترابط والتفرق في محلات عصر استخدام الحجر والمعدن واستنتجنا أن تنوع أصلها وظروفها هو سبب تفاوت خلفاتها ويبدو أن المجتمعات التي عاشت في تلك المحلات - في فترة لا يمكن تحديدها من القرون الأولى في الألف الثالث قبل الميلاد - امتزجت مع بعضها البعض وانصهرت في وحدة بشرية جديدة لا تحمل إلا شبيها بسيطا لأي عنصر من العناصر التي دخلت في تكوينها ويمكن أن نشبه ذلك (بشيء من التجاوز) بالحالة التي حدثت في أمريكا الآن أي بعد الجيل الثالث أو الرابع لبدء الهجرة إليها ، وعلى أي حال لم يحدث ما يحول دون تطور تلك الجماعات في هدوء إذ أنهم ظلوا بمثلين لمدة سبعة أو ثمانية قرون في كل قرية أو مدينة تجارية (من سقاريه إلى الفرات ومن البحر الأسود إلى سلاسل طوروس التي تكون حافة الهضبة) وكانوا يعيشون في نفس المنازل مستعملين لنفس الأدوات ومفضلين لنفس الأشكال في ثيابهم ، وكانت ظروف ومعدات حياتهم الزراعية معروفة من بضعة المحلات التي تم اكتشافها فلم يلاحظ في معظمها إلا تغير طفيف في حالات شاذة ، وهو يدل على حدوث اضطراب نتيجة هجرة قوية أحدثت مثل هذه التغيرات الضئيلة في الصناعات التقليدية ، ومع ذلك فإن المظهر العام لحياتهم ظل كما هو إلى ما بعد الألف الثالث قبل الميلاد .

وتشابه حياة هذه الجماعات واستمرارها على نفس الوتيرة يؤكد انعدام مظاهر التقدم في مخلفاتهم بصورة تكاد تكون مطلقة، والواقع أن الدليل الذى يبدو من هذه المحلات هو الوحيد الذى يمكن أن نحكم به على حضارات عصر استخدام النحاس فى الأناضول ولا يمكن بأى حال أن نقارن بينهما وبين ما وصلت إليه الحضارة فى بقية أقطار الشرق الأدنى القديم فصر مثلاً كانت تعيش فى عهد الدولة القديمة وهو من أزهى عهودها التاريخية .

وقد اكتشفت فى الأجا هو يوك ^(١) مقابر من عصر النحاس كان لاكتشافها أكبر الأثر فى إلماطة اللام عن كثير من خصائص هذا العصر حيث يدهشنا ما وصل إليه هؤلاء الناس فى تفكيرهم وذوقهم كما يبدو ذلك من مخلفاتهم (شكل ٢٦) .



شكل ٢٦ - أواني وأدوات من أاجا (عصر البرونز القديم)

وإذا ما نظرنا إلى التغيرات الثانوية التى حدثت خلال

H. Z. kozay , ,, Alacahôyük' , ,

(١)

(Guide in English. Ankare 1963)

عصر النحاس في المناطق الفسيحة الممتدة خارج الهضبة نفسها فأهم منطقة يتجه إليها تفكيرنا هي المنطقة المطلة على بحر إيجة إذ يبدو أنها قد فصلت نفسها من الناحية الثقافية عن الهضبة في الوقت الذي تأسست فيه أول محلة في طرواده تقريبا أي (حسب رأى بعض المؤرخين) بعد بداية الألف الثالث قبل الميلاد - وقد سبق أن ذكرنا أن محلة طرواده هذه تعاصر المحلات التي ترجع إلى آخر عصر استعمال الحجر والمعدن بداخل الهضبة في الشرق ، وقد نشأت المحلة الثانية في طرواده مع بداية عصر النحاس في داخل الهضبة^(١) - والواقع أن قليلا من الأدلة الأثرية هي التي تربط بين المنطقتين في هذا العصر السحيق بحيث يصعب إيجاد صلة بينهما ، أما الأدلة على ارتباط طرواده الأولى بأقليم بحر إيجة فهي متعددة وكافية لأن تؤيد وجود صلة بينهما .

وعلى ذلك فإن الطبقات الأثرية في طرواده ابتداء من الطبقة الثانية إلى الطبقة الخامسة هي وحدها التي تمثل عصر النحاس وتستخدم كمنادج رئيسية لهذا العصر عن كل المنطقة المحيطة ببحر إيجة ، والأدلة التي تتبعها هنا لا تخرج عن مجرد مخلفات بدائية تشير إلى اقتصاد زراعي متواضع ، فضلا عن ذلك توجد بعض مخلفات قليلة منفردة تدل على غنى عظيم يوحى بوجود مستوى أعلى للحياة بين الطبقات العليا وهذه المخلفات تتمثل في وجود بعض حلي من الذهب والفضة عثر عليها

(١) أنظر أعلاه ص ١٢١

شليمان (Shliemann) في الطبقة الثانية من حفائره في طرواده، على أن هذا الغنى الذى تمثل في طرواده كما تمثل في ألaja « Alaja » حدث في فترة انتهت بانهيار عظيم وتبعها في كلتا الحالتين تغيرات واضحة في العادات وفي أذواق السكان - ويبدو أن هذه الطبقة الثانية في طراوده انتهت بحريق عظيم إلى درجة أن ترك طبقة عميقة من الرديم المحترق والرماد فوق المساحة المسكونة كلها - وقد حطمت بالمثل كذلك مدينة ألaja بواسطة النيران التي توجد آثارها بعد آخر دفنة بها ، بل ويوجد من الأسباب ما يدعو إلى التفسير بأن هذين الحريقين قد حدثا في وقت واحد وأنها يرجعان إلى قرب نهاية القرن ٢٤ ق. م.

وفى عدا هذه الحقائق لا يوجد من التشابه بين الحضارة التي سادت منطقة إيجيه وتلك التي كانت داخل البضبة الا مظاهر ضئيلة أخذت تختفى بعد ذلك ، فقد وجدت في الصناعات المعدنية أثناء عصر النحاس طرز مشتركة في الأدوات وفي بعض المظاهر الزخرفية الصغيرة بكل من المنطقتين تكاد تكون من السكرة بحيث توحى باحتمال الوصول الى مراحل متشابهة في تطور نوع معين من الصناعة في الشرق الأدنى ، ولا يتمثل ذلك في الفخار الا في أشكال فردية يمكن أن تستخدم في المقارنة التاريخية بين المنطقتين أما بقية الأشكال فإن تناقضها لا التشابه فيما بينها هو الذى يجب أن يدرس في أماكن مثل كوسورا (Kusura) ودمركى هيوك (Demirci Huyuk) لتبين مدى تأثير كل من الثقافتين في هذه الأماكن .

أما المنطقة الأخرى الهامة التي يجب أن نشير إليها فهي قيليقيا ، وهي مثل الإقليم الإيجي ومن ورائه أوربا - تتجه نحو الجزر - وعلى هذا كان مصير قيليقيا يشكل في أغلب الأحيان تبعا لسهولة الاتصال بها من جهة سوريا ، ففي المراحل الأخيرة من عصر استخدام الحجر والمعدن توجد آثار طفيفة للإحتكاك بين المستوطنين في بقاع مثل مرسين وطرسوس مع القادمين الجدد الى طرواده ، أما أثناء القرون التي شهدت عصر النحاس التالى له فإن علامات هذا الإحتكاك وفيرة تدل على نشاط تبادل التجارة مع الهضبة عن طريق ممرات طوروس - ولكن إلى جانب تلك الأدلة المادية هناك ما يشير إلى تأثير واضح وعلى تغلغل الذوق السورى بل والفلسطينى أيضا ويحتم المنطق أن يكون عبور قيليقيا بالاتجاه شرقا نحو وديان الانهار والبلاد الواقعة في جنوب « حاجز الحجرى الحديث » ومن ثم إلى الاراضى المرتفعة في شرق الفرات ثم إلى ساحل البحر الأسود في الشمال وللأسف لم تدرس أى من هذه المساحات دراسة وافية ، فأى شىء يقال عن تاريخها في عصر النحاس يكون في معظمه مجرد تخمين - والواقع أن المثال الوحيد لمخلفات هذا العصر يوجد في موقع يعرف باسم كاراز (Karaz) بالقرب من أرزروم (Erzurum) حيث عثر في طبقة معروفة من عنصر النحاس على طرز جديدة من الفخار يوجد ما يشبه لها في القوقاز وقد قيل الكثير عن مشابهتها للمنتجات الأجنبية والدخيلة التي عثر عليها في خربة كيراك (Khirbet kerak) بفلسطين إلا أن هذه الاكتشافات الفردية تؤكد قصور معلوماتنا ولا تفيد

إلا فى التوجية إلى نواحي البحث الجديد . والخلاصة أن جيران الأناضول فى الشمال والشرق والجنوب الشرقى ما زالو غامضين نسبيا إذا ما قورنوا بساحل البحر المتوسط فى غرب قيليقيا حيث أن عدم وجود آثار بتلك الجهات يدل على أنها كانت فى هذا العصر غير مسكونة بالفعل . وهكذا فالهيكل الاساسى لما نعرفه عن عصر النحاس يمكن تلخيصه فى مظهر قليلة وعلى ذلك يجب أن نهتم بما تضيفه أعمال الباحثين القلائل من المعلومات فى المستقبل - فى حوالى سنة ٢٣٠٠ ق.م. تغيرت مميزات الحضارة فى الأناضول نظرا لدخول طائفة من الناس تميل إلى الفخار الملون الأجنبي ، وقد انتهى هذا النتاج الكيادودشى (Gappadocian) حوالى سنة ١٩٠٠ ق.م. ، وهنا نصل إلى نهاية عصر ما قبل التاريخ فى هضبة الأناضول . وينتشع الضباب تدريجيا عن الحضارات التى سادت فيها إذ تمدنا الوثائق المعاصرة بعدئذ بالكثير من المعلومات عنها وبذلك تخرج العصور التالية - ابتداء من عصر البرونز المتوسط - عن نطاق موضوعنا .

شبه جزيرة العرب

لا شك في أن قسوة الظروف الطبيعية في شبه الجزيرة قد جعلت منها بيئة غير مرغوب فيها لا يعرف العالم المتحضر عنها إلا القليل ، فهذه الظروف هي السبب في عدم نشاط الإرتحال إليها واستحالة القيام ببحوث علمية وأثرية فيها إلا في بعض مناطق محدودة للغاية ، وقد يجيء الوقت الذى يمكن للإنسان فيه أن يستعين بوسائل المدينة الحديثة على البقاء في أقصى جهاتها ظروفًا وأن يقوم بما يريد من أبحاث تزيد معلوماتنا عنها .

وتدل شواهد الأحوال على أن شبه الجزيرة كان ينعم بظروف مناخية ملائمة لسكنى الإنسان ، فهى في هذا تماثل نظيراتها في العالم القديم - أى الصحراء الليبية وصحراء مصر الشرقية - ولذا يرجح أنها ظلت كذلك إلى نهاية العصور الحجرية على الأقل ، فقد وجد أحد الأمريكيين في الربع الخالى بقايا نهر واسع هو السهل المنخفض المسمى « أبو بحر » - كما وجدت آثار أنهار أخرى في جنوبي شبه الجزيرة وهى التى تتمثل في الوديان الجافة الآن ، وفي هذه الأماكن وبالقرب منها بقايا حيوانات من تلك التى تعيش في مناخ شبيه بما كان سائدا في شمال أفريقيا في تلك العصور - كذلك عثر على آثار لبعض المدن في مناطق مختلفة من جنوب شبه الجزيرة على الأقل - ومع الأسف لم يتمكن البحاثه من الوصول إلى المناطق شديدة الجذب

والقيام فيها بأبحاث تنير لنا السبيل عن عصورها القديمة ، ولكن
بعثات قليلة قامت ببعض الأبحاث في جنوب شبه الجزيرة كشفت عن
وجود آلات من الصوان في حضرموت تشبه كثيرا آلات العصر الحجري
القديم في شرق أفريقيا - ومع هذا فإن الاختلافات الظاهرة في آلات
كل من المنطقتين قد أدت إلى اختلاف وجهات النظر بين العلماء
فنهم من يرى أن التقدم الذى طرأ على الآلات الحجرية في أفريقيا
يوحى بأن الحضارة التى انتجت هذه الآلات نشأت في شبه الجزيرة .
أى أنها هى الأقدم وأنها انتقلت إلى أفريقيا - بينما يرى البعض الآخر أن
آلات شبه الجزيرة لا تكاد تختلف عن آلات شرق أفريقيا فى
أقدم صورها ولذا فإنهم يذهبون إلى أن شرق أفريقيا كان مهدا
لثقافة مركزية تفرعت منها ثقافات متعددة إلى جهات مختلفة من
أفريقيا وآسيا وأن من المحتمل أن الحضارات الآسيوية ومن بينها
حضارات شبه الجزيرة انفصلت عن الحضارات الآسيوية - ومن
بينها حضارات شبه الجزيرة - انفصلت عن حضارات شرق أفريقيا بعد
فترة ، ويستدلون على ذلك بما يلاحظ من عدم استقرار التشابه بين
آلاتهما بعد تطورها .

ولا يمكن أن نحدد الزمن الذى استمر فيه استعمال آلات العصر
الحجري القديم في شبه الجزيرة بل ولم يعثر حتى الآن على آثار
من العصر الحجري الحديث فيها - كذلك لا يمكن فى حالة معلوماتنا
الراهنة أن نحدد الزمن الذى بدأ فيه العصر التاريخي في شبه الجزيرة ،

وكل ما يمكن أن يقال في هذا الصدد أن أجزاءها المختلفة لم تبدأ عصرها التاريخي في وقت واحد وأن من المرجح أن الركن الجنوبي الغربي (اليمن) وأقليم عمان ومنطقة حضرموت كانت أسبق هذه الأجزاء في الوصول إلى عصورها التاريخية .

ومن المسلم به أن شبه الجزيرة تعد بيئة طرد لا يرغب في البقاء بها إذا ما ساءت الظروف - وكثيرا ما كان يحدث ذلك - فهناك من الأدلة ما يشير إلى خروج عدة هجرات منها إلى المناطق المجاورة ، في العراق وسوريا وغيرها ، وهي المسئولة عن تحركات العناصر السامية التي كان لها أكبر الأثر في تاريخ إقليم الشرق الأدنى من أقدم العصور .

فهرس أبجدى

١١٩	أزجوق	١١١	آديامان
٨٨	أزريجان	٧١، ٣٤	آركل
١١٢	أسد الكهوف	١٢٨، ٨٧، ٦٢، ٥٩، ٤٦، ٣٥، ٣٠	آسيا
٨٢، ٥٥، ٥٤، ٤٨، ٤٧، ٢٠	الأسرة الأولى	١٠٧، ١٠٢، ٩٧، ١٨	آسيا الصغرى
٨٢	الأسرة الثانية	١٢٠، ١١٣، ١٠٩	
٧٣ هامش	أسوان	٦	آشوردان
٨	أشعة كونية	١٠٦، ٩٥، ٨١، ٨٠، ٧٧	آلهة الأمم
٢٥، ٢٣، ١٧، ١٥، ١٣، ١١، ١٠	أفريقيا	٨٤	آنو
١٢٨، ١٢٧، ٧٠، ٦٩		٥٦	الآبعية
٩٩ هامش	الاسكندر	٥٠	أبيدوس
٢٠	الاقصر	٩٩، ٨٩	أخمينيون (فترة أخمينية)
١٢٤، ١٢٢، ١١٩	الاجا (هويوك)	٣٥	ادفو
٧٠، ٣٥	أم درمان	١١٦، ٨٩، ٧٩	الأريجية
١٢١	أمريكا	١٢٥	أرزروم
١٠٢	أم قطفة	٢٠	أرسلان
١١١، ١٠٩، ١٠٧	أنافول (، تركيا)	٨٨	أرميا
١٢٦، ١٢٢، ١٢٠، ١١٨، ١١٦، ١١٤		١٠٧، ١٠٦، ٧٩، ٧٥	أرمينيا
١٠، ٢، ١	إنسان (وسلالات بشرية)	١٠٦، ١٠٤	أريجا
٢ هامش	بكين	١١٦، ٨٢	أريدو (تل أبو شهرين)

س	ب	ص	ص
		٢ هامش	بلتدون
٦٥	بابل	٢ هامش	جاوه
١٠١	بادية الشام	١٠٣، ٢٥، ٢	حديث
٩٦	باكون	٢ هامش	روديسيا
٧٦	باليكورا	٢ هامش، ١٦	حافل
	البحر الاسود ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٢٥	٣ هامش	كرومانيون
	بحر قزوين ٨٧، ٨٨، ١٠٧، ١٠٩	٢ هامش، ١٦، ٢٥، ٢٧، ١٠٣	نياندرثال ٢ هامش
	البحر المتوسط ٧٨، ٨٧، ١٠١، ١٠٦	٢ هامش، ١٥	هيدلبرج
١٢٦، ١٠٨		١٠٣	أنطلياس
١٠٢، ٦١	البحر الميت	١١٢	أنطاليا
٩٠	بختياري	١١١، ١١٠	أنقرة
	البساري ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٨، ٤٣، ٤٦	٣٩، ٢٠	الاهرام
١٠٥، ٩٢، ٨١، ٧١، ٦٨، ٦٥، ٥٣، ٥١		١٠٢، ٨١ (رأس شجرة)	أوجاريت (رأس شجرة)
١٠٦		١٠٦، ١٠٤	
٤٦	برقتون	٢٣، ١٧، ١١، ١٠	أوراسيا
٣ هامش	برن	٢٧، ٢٥، ٢٣، ٢٠، ١٧، ١٥، ١٣	أوربا
١٢٠	البسفور	١٢٥، ٤٦، ٣٣، ٣٠	
٩٢، ٦٧، ٦٣	البعث (الحياة الثانية)	٩٩، ٨٣، ٨٢	أور
٧٩	بلاد العرب	١١٦، ٩٦، ٨٤، ٨٢ (أو الوركام)	أوروك (أو الوركام)
٤٨	بلاص	٨٣	إلى - أنا (معبوده)
		١٢٥، ١٢٤، ١١٩	لجنة
		٨٧، ٨٢ - ٩٠، ٩٧، ٩٩، ١٠٠	ميران ٨٢، ٨٧ - ٩٠، ٩٧، ٩٩، ١٠٠
		١١٩، ١٠٧، ١٠٥، ١٠٩	

ص	ج	ص	ص
١١٧، ١١٥	جاستانج	١١١	بندك (خليج ازميت)
١١١	جازيا تيب	٥٧، ٣٩	بوفير لا بير
٣ هامش	جالي هل	٥٣، ٤٩، ٤٨، ٧	بيترى
	جبل (، جبال)	١٠٦	بيت ثمان (ييسان)
١٠٧، ٨٩، ٨٧	البرز	١١١	بيريجك
١٠٧	أارات	ت	
١١٤، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٧٥	طوروس	التاريخ التتابعى (التوقيت المتتابع)	
١٢٥، ١٢١		٤٨، ٣٤	
١٠٢، ٣ هامش	الكرمل	١١٦	تبة جوارا
٨٩، ٨٨	مكران	٨٢	تبة كورا
٧٢	مويا	٩٧	التركستان (الروسية)
٦٨-٦٥، ٥٦-٥٣، ٥١-٤٩، ٤٧	جرزة	٥	التقويم الفلكى (، توقيت)
١١٤، ٧٧، ٧٦	جرمو (جارمو)	١٠٧، ١٠٥، ١٠٤	تل الجديدة
١١٥، ١١٤، ١٠٦، ١٠٥	جريكو	١٠٦، ١٠٥	تل الغسولية
٣ هامش	جريمالدى	٩٥، ٨٤، ٨٢-٨٠، ٧٧، ٦٨، ٣٦	تمثيل
١٠٥	جزر (مدينة)	١٠٧	
١٢٠، ١١٩	جلوجك (بيوق -)	٦٧، ٥٥، ٤٢، ٣٩	تمائم
١٠٧، ٨٥	جمدة نصر	٩٠	تنجى بابدا
٦٢	جل	١١١	توز جول
		٢٥	تونس
		٧	تيولوجيا

٩٧،٩٤،٩٣،٩٠	سيالك ٣	٧٣	جبي
١١١،٢١،١٩،١٣-١١،٩	شيلية	١ هامش	جنتر
٢٤	حاطرية	١٠٢ هامش	جورج حداد
٧١،٧٠،٢٧-٢٥	قفصية	٩٨،٩٧،٩٥	جيان
١١١	كلا كتونية	ح	
١١١	ليفالوارية	٣٤	حاميين
١١١،١١،٩	مادلينية	١٢٨	حضارة آسيوية
١١٣،١١١،٢٤،١٩،١٥،١١	موسيرية	حضارة (وصناعة)	
١٠٣	ناطوفية	أشولية ٢٢،١٩،١٥،١٤،١١،٩	
٦٧،٥٠،٤٩ (الاولى)	نقادة (أ)	١١٢،١١١	
٨٣،٨٢،٧٦،٧٢		١١٢،١١١،١١،٩	أورينياسية
٤٩،٤٤،٤٣ (الثانية)	نقادة (ب)	٣١	تاسية
٧٢،٦٨،٦٤،٥٩،٥٥،٥٣		٦٥،٣٠ (الاولى)	حلوان (أ)
١٢٨	حضر موت	٥٧،٤٧ (الثانية)	حلوان (ب)
٦٧،٥٩،٤٤-٤٢،٣٢،٣١	حبوب	٦٦،٦٥	
١١٤		٣٩،٣٤،٣١،٢٨-٢٦،٢٤	سبيلية
١٠٠	حساب	٧٠،٦٣،٤٧	
٧٦ (أنظر أيضا حضارة)	حسونة	١١١،٤٦،١١،٩	سولترية
١١٦،١١٤،١٠٥،٧٨		١٠٥،٩٢-٩٠	سيالك ١
٨١،٧٩ (أنظر أيضا حضارة)	حلف	٩٦،٩٢،٩٠	سيالك ٢
١١٦،١٠٦،١٠٥،٩٢			

س	س
۸۹	دمغان
۱۱۹	دندارتبه
۱۱۱	دوالک
۵۷،۴۰	دی بونو
۶۵،۳۹،۳۲،۳۰	دیرتاسا
ر	خ
۱۲۷	ختم (و أختام)
۶۷،۴۸،۴۴،۴۲	خراسان
۱ هامش	خریة کیراک
ز	خوز
۸۳	الخرطوم
۱۰۲	خفاجه (خفاجی)
س	الخليج العربي
۱۱۳، ۱۰۹، ۱۰۵	الخليج المیدی
۱۱۵	خور بهان
۲۴	خوزستان
۱۲۱	الدانوب
۵۸، ۵۲، ۴۴، ۲۴	دبایس قتال
۱۱۳، ۹۱، ۶۱، ۵۹	دب الکھوف
۱۱۹	دجلة
سنایر (شص، خطاطیف)	دشنا
۶۱، ۵۸، ۴۲	دلایات
	دمرکی هیوک

س	ط	س	س
		١٠١	سهل البقاع
١٠٣، ١٠٢	طبرية	٨٧	سهل التركمان
١٢٥، ١١٧، ١٠٩	طر موسى	٧٣، ٧٢، ٧٠، ٦٩	السودان
٣٩	طره	١٠، ٩٢، ٨١، ٧٩، ٦٠، ١٨	سوريا
١٢٤، ١٢٣، ١٢١ - ١١٩	طرواده	١٢٥، ١١٧، ١١٣، ١٠٦، ١٠٤، ١٠٢	
٧٨ هامش	طه باقر	١١	سواتري (بلدة)
٩٠	طهران	٩٩، ٩٥، ٨٨	سوسة
٤	الطوفان	٦٨	سومر
		٤	سومريون
ع		٩٩، ٩٧، ٩٢، ٩٠، ٨٩	سيالك
٦٨، ٤٢، ٣٦، ٣٢	عاج	٧٢	سيالة
العالم القديم ٩٩، ١١، ١٠	عبد الكريم رافق	١٠١، ٥٩	سينا
١٠٢ هامش	عبري	ص	
٧٠	العبيد	٢٧، ٣٤	الصحراء الليبية
١١٨، ١١٦، ٨٢، ٨١	عجلة الفخار	١٢٧	صحراء مصر الشرقية
٩٤، ٣٧	عدلون	٥٧، ٥٤، ٥٢، ٣٢	صلايات
١٠٢	العراق أ، بلاد (ما) بين النهرين	١٠٢	صور
١٧، ١٨، ١٥، ٧٦، ٧٩ هامش،		٢٣، ١٣، ٤٤، ٥٨، ٦٨	صوان
٨١، ٨٣، ٨٥ - ٨٨، ٩٢، ٩٤		١٢٨، ١١١، ٧١	
٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠ - ١٠٢، ١٠٤		٥٩، ٥٨	صولجان
		١٠٢	صيدا

س	س
جليلية (١ هامش ، ١١١٧	١٠٥ - ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٤ ،
عصر (أو مرحلة) جمع القوت	١١٦ - ١٠٨
١٠٠٩٠٤	عشتار ٨٣
العصر الحجري القديم ١٠٩٠٤ ، ١٠٠٧٦	عصر استخدام (استعمال) :
١٢٨ ، ١١١ - ١٠٩ ، ١٠٢ ، ٨٩	البرونز ١٠٦
العصر الحجري القديم الاسفل	البرونز (القديم) ١٢٠ ، ١٢٢
٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٦٩	البرونز (المتوسط) ١٢٦
١١١ ، ١٠٢	الحجر (أ ، عصور حجرية)
العصر الحجري القديم الاعلى	١٢٧ ، ٤
٩ ، ١١ ، ١٦ ، ٢٤ - ٢٧ ، ٧٠ ،	عصر بداية استعمال المعادن (أو
١١١ ، ١٠٣	المعدن أو الحجر والمعدن)
العصر الحجري القديم الاوسط	٩ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥
٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٧٠	النحاس ١٢٠ - ١٢٦
١١١ ، ١٠٢	عصر (أو مرحلة) إنتاج الطعام
العصر الحجري الحديث ٢٦ ، ٩٠٤ -	٩٠٤
٢٨ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٦٤	العصر الايولي ١٠
٧١ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٤	عصر تاريخي ٩٠٣
١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٢ - ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠	عصر التدوين (الوثائق المكتوبة أو
١٢٨	الكتابة) ٩٠٣
العصر الحجري المتوسط ٩ ، ٢٥ ، ٢٧	العصر الجليدي الرابع (وعصور
١٠٣ ، ٩٠ ، ٧٠	

س	ف	س	العصر الروماني
فأس (، فؤوس) حجريه أو يدويه		١٨	العصر السابق للكتابة (ما قبل الوثائق)
ابتداء من ص ٣		١٠،٩،٣	
نخار		٤٧،٢٩،٢٨	عصر ما قبل الأسرات
الفرات	١٢١،١١٨،١١١،١٠٧،٧٥	١٠٦،٧٩،٧٣،٦٢،٥٧-٥٤	
فراعنه	٦٣	١٢٦،١١٧،٩،٣	عصور ما قبل التاريخ
فرس النهر (أو البحر)	٥١،٤١،٣١،٢٣	٦٠،٣٦	عصا الرماية
فرم	١ هامش	٧٠	العطبرة
فسكير تبه	١٢٠	١٠٦	العقولة
فلسطين ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٩		٩٩،٩٣،٦٠	عقيق
	١٢٥، ١١٤	٩٩،٩٦،٩٥	عيلام
فلكات مغازل	٦١، ٤٥، ٤٢	٦	علم الحيوان الوصفي
فينيارد (ادموند)	٢٧	٦	علم النبات القديم
فيليب حق	١٠٥، ١٠٢	١٠٦، ١٠٥، ٩٢، ٧٩	العمق
الفيوم (أنظر كذلك حضارة)	٢٤، ٣٠، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٤٢	٦٤، ٦٠، ٥٤-٥٢، ٥٠، ٤٩، ٤٧	العمرة
	٧٢، ٧١، ٦٥، ٦٤، ٥٨، ٤٧	٦٥	
(ق)		٦٦، ٦٥، ٤٠، ٣٩، ٣٠	العمري
قار	٦١، ٩٨ هامش	٧٦	عناصر سامية
قاشان	٩٠، ٨٩	٩٩ هامش	عناصر هندو أورييه
القدس	١٠٤	٦٢ هامش	العهد اليوناني
		٦٢ هامش	عبد الأسرات

١١	لامادلين	٨٢	قلعة الحاج محمد
١٢٤	كوسورا	١١١، ١١٠، ١٠٥	قرقيش
١١٢	كوكتن	٤٠	قصر الصاغة
٢٤	كوم امبو	٢٥	قفصة
٣ هامش	كومب كابل	٢٠	قناة السويس
١١٩	كوم تبه	١٠٨	القوس البوتى
٤٦	كيتون تومبسون	١٢٥، ١١٤، ١١١، ١٠٩، ٤٦	القوقاز
	(ل)	١٠٨، ١٠٥	قيليقيا (أو كيليكيا)
٩٩، ٩٨	لابس لازولى	١٢٦، ١٢٥، ١٢٠، ١١٨، ١٠٩	
١٠٢ هامش	لبنان	(ك)	
٣٤	اللقيطه	١٢٥	كاراز
٤٦، ٤٢، ٣٦	لوحات (، صلايات)	٩٧	كبادوشيا
	لواء	٩٨، ٩٧	كتابة قبل العيلامية
٧٦	بغداد	٨	كربون ١٢
٧٦	كر كوك	٧٢، ٧١، ٣٥، ٨ هامش	كربون ١٤
٧٦	الموصل	١١٤، ١١١، ١٠٩، ٧٦	کردستان
١١١	لودملو	٧٧، ٧٦	كريم شهر
	(م)	١٠٣	الكلب (نهر)
١١	المارن (نهر)		كهف
١٠٦	مجدل (تل المتسلم)	١١	أورينياك
		١١٢	كارين

٧٩	الموصل	١١٥، ١١٣، ١٠٩، ١٠٥	مرسين
٥٣	ميدوم	١٢٥، ١١٧	
٤	مولد المسيح	٣٤، ٣١	مستجدة
٦٨، ٥٥	مينا	٨٩	مشد
٩٩ هامش	ميدون	١٧	مصر
(ن)			مصر السفلى (، الدلتا، الوجه
١٠٢	الناصره	٢٩ ... الخ	البحرى) من
٥٦	نجم حمادى	٢٩ ... الخ	مصر العليا (الصعيد، الوجه
٤٨، ٨	نقادة (أنظر كذلك حضارة)	٢٩ ... الخ	القبلى) من
٦١		٥٣	مصر الوسطى
٩٥	نهاوند	٤٠	مصطفى عامر
٧٣، ٧٢، ٦٩	التوبة	١١٦، ٨٥، ٨٣، ٨٢، ٨٠	معابد
٧٥، ٦٩، ٥٩	النيل (وادی)	٦٦، ٦٥، ٦٣ - ٥٧	المعادى ٤٧
(أ)		١١١، ١١٠	ملاطيا
٤	هجرة الرسول	٤٠، ٣٩، ٣٠	مرمدة بنى سلامة
٣٤	هندودة	٦٥، ٦٤، ٦٠ - ٥٧	٤٣ - ٤٤
١٠٩	الهلل الخصب	١٠٥، ٨٢، ٧٧، ٥٨، ٤٤	مناجل
٥٣، ٣٤	همامية	٤٠	منجین
٩٦	الهند	١ هامش	مندل

س		س	(و)
٣٤	وادی حمامات		
١٠٣	وادی الناطوف	٢٤	الواحات الخارجة
١٠٨ ، ٩٩	اليونان	١١	وادی الساؤون
٤٦ ، ٤١ - ٣٩	يونكر	٧٣ ، ٧٠ هامش	وادی حلفا

(حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف)

مراجع مختارة

أولا مراجع عامة : -

- R. J. Braidwood, *Prehistoric Men*, 1948.
R. J. Braidwood, *The Near East and the Foundations for Civilisation*, 1952.
V. Childe, *New Light on the most Ancient East*, 4th. ed. 1952.
L. Delaporte, *Les Peuples de L'Orient Méditerranéen*, I, *Le Proche-Orient Asiatique*, 1938
H. Frankfort, *Birth of Civilization in the Near East*, 1950
وقد ترجمه إلى العربية ميخائيل خورى بعنوان فجر الحضارة في الشرق الأدنى
R. Linton, *Tree of Culture*, 3 vols. 1955
وقد ترجمه إلى العربية الدكتور أحمد فخرى بعنوان شجرة الحضارة
V. H. Breasted, *Ancient Times*, (2nd, ed. 1944).
H. Hall, *The History of the Ancient Near East*, (1934).

ثانيا عن مصر :-

- E. Baumgartel, *The Cultures of Prehistoric Egypt*, 2 vols. Cambridge Ancient History I (new ed. chapt X., Mss).
A. Gardiner, *Egypt of the Pharaohs*, 1961
S. Huzayyin, *The Place of Egypt in Prehistory*, 1941
E. Massoulard, *Prehistoire et Proto — histoire de l'Égypte*, 1949.
A. Morret, *The Nile and the Egyptian Civilization*, 1927
F. Petrie, *Prehistoric Egypt*, 1920.
A. Vandier, *Mannet d'Archéologie Egyptienne*, Tome I, 1952.

ثالثا عن العراق

- G. Contaran, *La Civilization d'Assur et de Babylone*, (2e. ed.) 1937

L. Delaporte, La Mesopotamie, t. 8 de L'Évolution de L'Humanité, 1923.

S. Smith, Early History of Assyria to 1000 B. C., 1928.
طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ - (بغداد سنة ١٩٥٥)

رابعاً عن ايران

G. Calderon, History of Early Iran, 1936

R. Ghirshman, Iran, (Pelican A 239)

C. Huart, La Perse antique et la civilisation iranienne,
t. 24 de L'Évolution de L'Humanité 1935

خامساً عن سورية

W. F. Albright, From Stone Age to Christianity, 1940

W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, (Pelican
A 354)

فيليب حتى ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة الدكتور جورج حداد
وعبد الكريم رافق

سادساً آسيا الصغرى

G. Contenau, La Civilization des Hittites, 1948

O. Gurney, The Hittites, (Pelican, A 259)

W. Hamilton, Researches in Asia Minor, Pontus and
Armenia, 1942.

S. Lloyd, Early Anatolia, (Pelican, A 190).

سابعاً شبه جزيرة العرب

Ph. Hitti, History of the Arabs (5 th. ed.)

طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج ٢ ، (بغداد سنة ١٩٥١)
أحمد فخري ، الدين ماضيها وحاضرها ، القاهرة ١٩٥٧

تصويب

خطأ	صواب	من سطر
Nesnderthal	Neanderthal	٢ هامش
Heidellerg	Heidelberg	٢ هامش
الأردنى	الآدنى	١٦ ١٢
أوربا	أفريقيا	١٧ ٢
غدير	عبر	١٧ ١٠
يعيش	كان يعيش	١٨ ٢٠
الاصلية	الاصليين	٢١ ١٠
ص ٢٨	ص ٤٣	٣٠ هامش
يجعلون	يدجون	٣١ هامش
عصر رماية	عصا رماية	٣٨ تحت الشكل
العمر	العمرة	٥٠ عنوان
هو	وهو	٥٤ ١
كانت تعملوها	كان يعملوها	٥٥ ١
وكثيرا	وكثر	٥٧ ٢
أسبته	سلال	٥٨ ١٣
دغا	دعا إلى	٦٨ ٧
لتشابه ظروف البيئة بين	للتشابه بين جنوبها وبين	٦٩ ٥
العظيمة	العظمية	٨٢ ٢
المدينة	المبنية	٨٥ ٤
استخدام	استخدم	٩٢ ١٥٧
تطلق	تطلى	٩٣ ١
رقم ١ هامش ص ١١٧	تنقل إلى ص ١١٦	
عنصر	عصر	١٢٥ ١٨



١٩٦٢

مطبعة المصري

Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com